

صفحات من تاريخ وجغرافية محافظة أحد رفيدة (قديماً وحديثاً) (*)

أ. محمد بن أحمد معبر

(*) دراسة منشورة في كتاب: القول المكتوب في تاريخ الجنوب، لغيثان بن جريس (الطبعة الأولى) (الرياض : مطابع الحميصي، ١٤٤٠هـ/٢٠١٨م)، (الجزء الرابع عشر)، ص ٥٧ - ١٠٥ . (الطبعة الثانية/ ١٤٤٢ هـ / ٢٠٢٠م)، (نفس الصفحات السابقة).

**ثالثاً : صفحات من تاريخ وجغرافية محافظة أحد رفيدة . (قديماً وحديثاً)
بقلم أ. محمد بن أحمد بن معبر**

الصفحة	الموضوع	م
٥٨	المقدمة	أولاً :
٥٩	جغرافية بلاد رفيدة	ثانياً :
٥٩	١. بلاد قبيلة رفيدة	
٦٠	٢. محافظة أحد رفيدة	
٦٢	المسار التاريخي لبلاد رفيدة وسكانها	ثالثاً :
٦٢	١. مدينة جرش	
٧١	٢. قبيلة عنز بن وائل	
٧١	أ. المسار التاريخي لقبيلة عنز بن وائل	
٧٥	ب. الموقع الجيني المذحجي العنزي	
٧٧	٢. قبيلة رفيدة (فروعها وبلادها)	
٧٧	أ. تمهيد	
٧٨	ب. قبائل رفيدة وبلادها	
٧٩	١. قبيلة آل الجحل	
٧٩	٢. قبيلة آل الشواط	
٨٠	٣. قبيلة آل مستير	
٨٠	٤. قبيلة الحاف	
٨١	٥. قبيلة جارمة	
٨٢	٦. قبيلة خطاب	
٨٢	٧. قبيلة ذعي	
٨٢	٨. قبيلة قيس (بنو قيس)	
٨٣	٩. قبيلة وقشة	
٨٣	الحياة الدينية في بلاد رفيدة قبل الإسلام	رابعاً :
٨٧	الحياة السياسية في بلاد رفيدة	خامساً :
٨٧	١. صفحات من تاريخ بلاد رفيدة السياسي منذ العصر الجاهلي إلى العصر الحديث	

م	الموضوع	الصفحة
	أ. العصر الجاهلي	٨٨
	ب. العصر النبوي	٨٨
	ج. عصر الخلافة الراشدة (١١ - ٤١ هـ/ ٦٣١ - ٦٦١ م)	٩٠
	د. عصر الدولة الأموية (٤٢ - ١٣٢ هـ/ ٦٦٢ - ٧٤٩ م)	٩٠
	هـ. عصر الدولة العباسية (١٣٢ - ٦٥٦ هـ/ ٧٤٩ - ١٢٥٨ م)	٩٢
	و. العصر العثماني (٦٨٧ - ١٣٤٣ هـ/ ١٢٨٩ - ١٩٢٤ م)	٩٨
	ز. الدولة السعودية (١٢١٣ - ١٤٣٩ هـ/ ١٢٩٨ - ٢٠١٨ م)	٩٩
	٢- وقفه مع الوجود الحميري في جرش	١٠٠
	أ. مصطلح (اليمن) الجغرافي	١٠٠
	ب. الوجود الحميري في جرش	١٠٢
	سادساً : خاتمة القول	١٠٥

أولاً: المقدمة :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد: فقد طالت الصحبة مع مدينة جرش وأحوازها وسكانها منذ سنة (١٣٩٩ هـ/ ١٩٧٩ م)، وبما أن جرش تمثل حاضرة قبيلة عنز بن وائل، وتسكنها بعض الفروع المنتشرة من (رُفيدة) وهي أحد الفروع الثلاثة لعنز (عسير، أراشة، رُفيدة) فقد أثرت أن يكون لقبيلة رُفيدة دراسة تحدد مسارها التاريخي منذ العصر الجاهلي حتى الآن (١٤٣٩ هـ/ ٢٠١٨ م).

ولأخفي انتمائي ونسبي في قبيلة رُفيدة، وهو مما أعتز به، وليس لهذا الانتماء أي أثر في هذه الدراسة، فقد لزمْتُ الحيَدة، ونظرت بعين الباحث عن الحقيقة المجردة من الأهواء. أما أهم ما دفعني إلى هذا البحث، فهو ما جرت به بعض الأقلام عن أصول قبيلة (رُفيدة) حتى تنازعتها الأقوال؛ وكثرت الاختلافات، فهذا ينسبها إلى قبيلة كذا، وآخر يذهب بها إلى قبيلة أخرى، وثالث يزعم بانقراضها وهجرتها عن مكانها، ورابع يرى بذوبانها في غيرها إلى آخر ما هنالك من المزايم والتحريفات المقصودة وغير المقصودة.

وليس هنا مجال مناقشة تلك الأقوال، إذ ينصب اهتمامي وجهدي إلى تقرير الأصول التاريخية لبلاد رُفيدة وسكانها، فهذا أدعى إلى اجتماع الفكر، وتوجيه القلم إلى الحقائق التاريخية، ورسم المسار بعيداً عن بُنيات الطريق.

ولا أدعي - مع ذلك - أن هذه الدراسة بلغت الغاية في الصّحة والدّقة، فلا بُدّ لعمل كهذا من النقص والخطأ، وهو مما لم أتقصده، ولا لُوِيَتْ أعناق النصوص من أجل هذا القول أو ذلك. وأعود بكم إلى الدراسة ومحاورها الرئيسية الأربعة، وهي كما يلي: أولاً: جغرافية بلاد رُفَيْدَة . ثانياً: المسار التاريخي لبلاد رُفَيْدَة وسُكَّانها . ثالثاً: الحياة الدينية في بلاد رُفَيْدَة قبل الإسلام . رابعاً: الحياة السياسية في بلاد رُفَيْدَة .

وقد بذلت أقصى ما أستطيعه من جهد في إعطاء صورة واضحة المعالم عن بلاد رُفَيْدَة وسُكَّانها منذ العصر الجاهلي حتى يومنا هذا، مع الحرص على عدم التزديد والمبالغة في مكانة القبيلة، أو الادّعاء بتميزها عن غيرها من قبائل العرب، فهي على كل حال تسير فيما جرت عليه القبائل في الحياة اليومية، أو في الأعراف والنظم . وأسجل هنا الشكر والعرفان لمن أزروا هذا العمل حتى تم إنجازه، وهم: (١) أ.د. غيثان بن علي جُريس . (الذي أثار همّتي لكتابة هذا الموضوع) . (٢) الشيخ تركي بن سعيد بن هَيْف (شيخ جارمة وخطاب) . (٣) الأستاذ سعيد بن عبد الله بَهلول . (٤) الأستاذ أحمد بن علي مَطْوَان . (ولا سيما فيما يخص قراءة الموقعين الجيني والجغرافيين لقبيلة عَنز بن وائل) . وأسأل الله تعالى السداد والتوفيق في القول والعمل، وأن يجعل أعمالنا وأعمالكم خالصة لوجهه الكريم، هو ولي ذلك والقادر عليه .

ثانياً: جغرافية بلاد رُفَيْدَة

أثرت تقسيم هذا العنصر إلى مبحثين، وهما: بلاد قبيلة رُفَيْدَة، ومحافظة أحد رُفَيْدَة . وذلك بسبب اختلاف بلاد رُفَيْدَة بشكل عام عن محافظة أحد رُفَيْدَة، فهناك بعض القبائل الرُفَيْدِيَّة أصبحت مواقعها خارج النطاق الإداري للمحافظة، فمنها من يسكن في نطاق مركز تندحة بمحافظة خميس مشيط، ومنها ما هو في نطاق مركز الشعف التابع - مباشرة - للعاصمة الإدارية لمنطقة عسير مدينة أبها، ومنها ما هو في نطاق محافظة سراة عبيدة .

١- بلاد قبيلة رُفَيْدَة

تقع بلاد قبيلة رُفَيْدَة - أصلاً - في نطاق سراة عَنز بن وائل، الواقعة في منطقة عسير، وتتساق فروع عَنز من الشمال باتجاه الجنوب، فالجنوب الشرقي، وهي على هذا النسق: عَسِير، فأرَاشَة، فُرُفَيْدَة . وتقع سراة (عَنز بن وائل) بين سراة جَنب (سراة عبيدة) جنوباً، وسراة الحَجَر شمالاً، وبهذا فإن (سراة عَنز) لا تمثل ما يعرف اليوم بمنطقة عسير، فسراة عَنز جزء من منطقة عسير .

ويمكن تحديد سراة عَنز بما يلي: (١) من الشمال: حدود قبيلة بللحمر، وهي من قبائل رجال الحَجَر (سراة الحجر) . (٢) ومن الجنوب: حدود قبيلة عبيدة، وهي من

أجزاء (سراة جَنْب) . (٢) ومن الشرق : بلاد شهران، وبلاد قبيلة سراة عبيدة . (٤) ومن الغرب : منحدرات جبال السراة ، وفي الجنوب، والجنوب الشرقي من سراة عَنز تقع بلاد قبيلة رُفَيْدَة، وفي هذا النطاق تقع محافظة أحد رُفَيْدَة، وتَقطن أغلب قبائل رُفَيْدَة في النطاق الإداري للمحافظة، وهي قبائل : (آل الجَحَل، وآل الشَوَاط، وجارمة، وقيس، وخطاب، وإحاف، وذُعَي، وبعض آل مستنير) . أما بقية القبائل فمواطنهم خارج النطاق الإداري للمحافظة، وهم كما يلي : (أ) قبيلة وَقْشَة : في محافظة سراة عبيدة، إلى الجنوب من محافظة أحد رُفَيْدَة، وتمثل بلاد قبيلة وَقْشَة الحد الجنوبي لسراة عَنز مع سَراة جَنْب . (ب) بعض قبيلة إحاف : يقطنون في تَمْنِيَة وتهامتها، ضمن نطاق مركز تَمْنِيَة التابع - مباشرة - للعاصمة الإدارية لمنطقة عسير، وهي مدينة أبها . (ج) قبيلة آل مُسْتَنير : يقطنون في مركز تَدْحَة، التابع لمحافظة خميس مشيط، إلى الشمال من محافظة أحد رُفَيْدَة، وبعضهم في محافظة أحد رُفَيْدَة .

(* مظاهر السطح (التضاريس) :

تتقسم مظاهر السطح في بلاد رُفَيْدَة على أربعة أقسام، وهي : (١) جبال السُروَات (الشعاف) : في الجنوب، والجنوب الغربي من بلاد رُفَيْدَة، المطلة على تهامة، مثل : تَمْنِيَة، التي تقع في أعلى شعف أراشة، ويسكنها بعض قبيلة إحاف من ريفية، وإلى الشرق منها (آل حلامي) من إحاف، ثم شعف جارمة، ثم بلاد قبيلة وَقْشَة . (٢) الأَصْدَار، جمع صَدْرٍ : في غرب جبال السروات، وتقع في أعالي المنحدرات في اتجاه تهامة، وهي تَمْنِيَة أيضا، ويقطنها (آل جَلِيحَة) من إحاف، ومن قراهم هناك : موغط، وهيمان، والشَّلَة وغيرها . (٣) تهامة : في أسفل المنحدرات الغربية والجنوب الغربي لجبال السروات، ويسكنها : (أ) آل خَمْلَان، من آل جَلِيحَة، من إحاف، على أودية : ذهب، والملح، وردوم . (ب) بنو مُلَيْك، من إحاف، في الحَبْلَة وحتى وادي ذهب . (ج) عَرَاب آل هلال، من قبيلة جارمة، على وادي عتود . (٤) السهول : في المنحدرات الشرقية لجبال السروات، وتتخللها الجبال والهضاب والأودية، وهي تمثل أغلب مساحة بلاد رُفَيْدَة، وتَقطن في هذه السهول قبائل : آل الشَوَاط، وآل الجَحَل، وإحاف، وذُعَي، وبنو قيس، وآل مستنير في تَدْحَة، على وادي تَدْحَة . (٥) الجبال والأودية : تتخلل بلاد رُفَيْدَة مجموعة من الجبال والهضاب والأودية، وسيتم ذكرها في صفحات تالية من هذا المحور .

٢- محافظة أحد رُفَيْدَة

يُمثل الحديث عن جغرافية محافظة أحد رُفَيْدَة الواقع الجغرافي لبلاد رُفَيْدَة بشكل عام، فبعض بلاد رُفَيْدَة الخارجة عن النطاق الإداري للمحافظة تُعد امتدادا طبيعيا لبلاد رُفَيْدَة . وقد أخذت مدينة أحد رُفَيْدَة اسمها من يوم الأحد، وهو يوم السوق

الأسبوعي، وأضيف إلى القبيلة (رُفَيْدَة). ومحافظة أحد رُفَيْدَة إحدى محافظات منطقة عسير في جنوب المملكة العربية السعودية. ويعود تاريخ إنشاء المحافظة إلى سنة (١٣٦٢هـ/١٩٤٢م) باسم (دورية) يشرف عليها (رئيس الدورية) حتى سنة (١٣٧٥هـ/١٩٥٥م)، إذ تحولت إلى مسمى (إمارة أحد رفيدة)، وأصبحت تحمل اسم (محافظة أحد رفيدة) منذ سنة ١٤١٤هـ. ويتبع المحافظة المراكز التالية: (١) مركز الواديين أسس سنة (١٤١١هـ/١٩٩١م). (٢) مركز شعف جارمة أسس سنة (١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م). (٣) مركز الفرعَيْن أسس سنة (١٤١٣هـ/١٩٩٣م) ^(١).

أ. الموقع: تقع محافظة أحد رُفَيْدَة إلى الشرق من مدينة أبها، قاعدة إمارة منطقة عسير الإدارية، ويفصلها عن أبها محافظة خميس مشيط، ومركز الشعف التابع للإمارة. وتقع المحافظة بين خطي الطول (٤٢,١٥ - ٤٣,٠٥ درجة شرقاً) وبين خطي العرض (١٨,١٥ - ١٨,٠٠ درجة شمالاً) ^(٢). وعلى بعد (٥) كم - تقريباً - من وسط مدينة أحد رفيدة تقع مدينة (جُرَش) إلى جهة الشمال ضمن نطاق المحافظة، بل هي الآن ضمن أحياء مدينة أحد رفيدة. وحدود المحافظة كما يلي (١) الشمال: محافظة خميس مشيط. (٢) الجنوب: محافظة سراة عبيدة، ومركز الشعف. (٣) الشرق: محافظة سراة عبيدة. (٤) الغرب: مركز الشعف.

ب. مظاهر السطح (التضاريس): تتألف مظاهر السطح في محافظة أحد رُفَيْدَة من خمسة أقسام، وهي: (١) جبال السروات (الشعاف): وفيها شعف جارمة، وبلاد قبيلة وقشة. (٢) السهول: وهي تمثل المنحدرات الشرقية لجبال السروات، وهي تمثل معظم مساحة المحافظة، وتسكنها أغلب قبائل رُفَيْدَة، ومن أهم هذه السهول سهل الواديين، وسهل بيشة الممتد من جنوب المحافظة حتى شمالها، ويخترقه وادي بيشة الذي يبدأ من شعف جارمة، وينتهي في محافظة بيشة وما بعدها. (٣) الجبال والأودية: تنتشر الجبال والأودية في جميع أجزاء المحافظة،

المناخ: يميل المناخ في بلاد رُفَيْدَة، وفي المحافظة إلى الاعتدال نسبياً، فالجهات الغربية، وهي المرتفعات (الشعاف) معتدلة في فصل الصيف، إذ لا تزيد فيها درجة الحرارة عن (٣٠) درجة مئوية، ولا تصل إلى درجة الصفر في فصل الشتاء في الغالب.

(١) محافظة، أحد رفيدة، محمد عبد المتعالي، ص ٢. مجلة (مهرجان أحد رفيدة) ع ٣، ١٤٢٧هـ، ص ١٠.
(٢) مجلة (مهرجان أحد رفيدة) ع ٢، ١٤٣٦هـ، ص ٨. أحد رفيدة وجُرَش (علاقة المكان والسكان) محمد أحمد معبر، بحث منشور في كتاب: (القول المكتوب في تاريخ الجنوب) ج ٥، ص ٢٢٢، ٢١٦. موسوعة الآثار في منطقة عسير (أحد رفيدة) مسفر الخثعمي، ص ٢٨.

أما الجهات الشرقية (السهول) فتتميز - أيضاً - بالاعتدال، إذ لا تزيد فيها درجة الحرارة عن (٣٥) درجة مئوية في فصل الصيف. وتختلف تهامة عن مناخ السراة في ارتفاع درجة الحرارة في الصيف، واعتدالها في الشتاء .

وتهطل الأمطار - في الغالب - في فصل الصيف بكثرة، إذ يتأثر الإقليم بالمنخفض السوداني والمنخفض الهندي صيفا، وتهطل الأمطار أحيانا في فصل الشتاء بسبب الجبهات الهوائية المتسربة من منخفض البحر المتوسط .

ثالثاً: المسار التاريخي لبلاد ربيعة وسكانها :

١ - مدينة جُرش

الحديث عن مدينة جُرش - بضم الجيم وفتح الراء - لا ينفصل عن قبيلة رُفَيْدَةَ، إذا تُعدّ هذه المدينة حاضرة بلاد رُفَيْدَةَ، وزادت شهرتها حين تم فتحها في السّنة العاشرة للهجرة . تقع مدينة جُرش في نطاق مدينة أحد رُفَيْدَةَ في جهة الشمال منها . في كتابي (مدينة جُرش من المراكز الحضارية القديمة) ذكرت ثلاثة أقوال في سبب تسمية (جُرش)، ما ذكره ياقوت الحموي : (أ) بأنّ تبعاً أسعد بن ملكيكرب خرج من اليمن غازياً حتى إذا كان بجُرش، وهي إذ ذاك خربة، ومعدّ حالة حوالها فخلف بها جمعا ممن كان صحبه رأي فيهم ضعفاً، وقال : اجرشوا ههنا أي البثوا، فسميت جُرش بذلك) . (ب) لياقوت أيضاً : "جُرش قبائل من أفناء الناس تجرشوا، وكان الذي جرشهم رجل من حمير يقال له زيد بن أسلم، خرج بثور له عليه حمل شعير في يوم شديد الحرفشرد الثور، فطلبه فاشتدّ تعبهُ، فحلف لئن ظفر به ليذبحنه ثم ليجرشن الشعير وليدعون على لحمه، فأدركه بذات القصص عند قلعة جراش، وكل من أجابه وأكل لحمه يومئذ كان جُرشياً" . (ج) قال صاحب تاج العروس : "وجُرش كزُفرٍ مخلاف باليمن نسب إلى جُرش وهو لقب مُنّبهُ بن أسلم بن زيد بن الغوث بن حمير" .

ويعضد القول الثالث أقوال علماء النسب كابن حزم الأندلسي في جمهرة أنساب العرب في قوله : " وذو يَزَن و جُرش ابنا أسلم بن زيد بن سهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جُشم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن قطن بن عريب بن الغوث بن أيمن بن الهَمَيْسَع بن حمير " . وقال الوزير المغربي : " جُرش : في حمير : جُرش وهو منبّه بن أسلم ابن زيد بن الغوث " . وقال ابن حجر العسقلاني : " جُرش، بضم أوله وفتح الراء ثم معجمة ابن عبدة، عن يحيى بن جابر، وعنه الهيثم بن سهل . وفي حمير جُرش، وهو منبه بن أسلم بن زيد بن الغوث " . وذكر مثل هذا أبو جعفر بن حبيب البغدادي وأبو العباس المبرد .

وجاء المبحث الثاني في كتاب (جُرَشِين) بعنوان (جُرَش عند اللغويين) (ص ٢٥)، ولصلة هذا المبحث بما سأحدث عنه لاحقاً فقد أثبتته فيما يلي: قال صاحب تاج العروس: "جُرَش الشيء قشره فهو مجروش، وجرش الجلد ذلكه ليملاس، قال رؤبة: لا يتقي بالدرق المجروش أي المدلوك ليملاس ويلين، وجرش الشيء لم ينعم دقه فهو جريش". وقال ابن فارس: "جرش: الجيم والراء والشين أصل واحد وهو جُرَش الشيء: أن يدق ولا ينعم دقه. يقال جُرَشته، وهو جريش، والجُرَاشة: ما سقط من الشيء المجروش". وفي أساس البلاغة: "جرش الملح والحب جُرَشاً: لم ينعم طحنه ودقه، وملح جريش. وجرش الرأس بالمشط: حكه حتى يهيج هبريته، ويقال للمشاطة: الجُرَاشة، وكذلك ما يتحات من الخشب"^(١). وقال ابن دريد: "اشتقاق جُرَش وهو فعل، من قولهم: جُرَشَت الشيء، أجرشه وأجرشه، إذا نحتته؛ وأجرشه أكثر. وبه سمي الرجل جُرَاشة".

هذا ما استطعت تقديمه عن كلمة (جُرَش) من قبل ما يقرب من خمس وثلاثين سنة، وقد ملت إلى القول الثالث معترداً بأقوال علماء النسب. فهل جد في الأمر ما يُسوّغ إعادة النظر؟ أقول: لا جديد؛ بمعنى وصول معلومات كانت غائبة عنا، فهي معلومات حاضرة بين يدي، بل لقد أخذت بعضها وتركت البعض الآخر، ثم استعجلت فكانت الأحكام والأقوال الناقصة. ولأبدأ لكم من كتاب: (جُرَش، دراسة في المكان والسكان)^(٢). لأحمد بن علي مطوان. ففي الفصل الأول عنده (مدينة جُرَش السكان وتسمية المكان) استعرض الأقوال في تسمية جُرَش ثم رجح القول الذي يقول (بأن أسعد بن ملكي كرب... إلى آخر النص). وهو ينقل عن الهمداني، وقد وقف عند أمر التابع الملك الحميري لبعض قومه بقوله: (اجترشوا من هذه الأرض، أو اجرشوا هنا؛ أي أقيموا فسميت جُرَش). وإذا قرأنا ما ذكره ياقوت الحموي: (اجرشوا ههنا أي البثوا، فسميت جُرَش بذلك)^(٣). نجد التوافق بينهما في معنى جُرَش.

قلت: وقف أحمد مطوان عند هذا المقطع وسأل عن معنى (جُرَش) في لهجة حمير ولا سيما أن الملك الحميري يخاطب قومه بلهجتهم، فهل الجُرَش بمعنى اللبث والاستقرار؟ وقد حاولت بعد قراءة هذا التساؤل للأخ أحمد البحث في بعض المراجع اللغوية المتعلقة بلهجة حمير فلم أجد لجُرَش أثراً. ووقوف أحمد مطوان أمام هذا المقطع مما يحسب له في تدقيق النظر وتمحيص النص، إضافة إلى فضله في إثارة هذا الذي أقوم به الآن. وياقوت الحموي له بعض السبق في هذا المقطع إذ قال: "ولم أجد في اللغويين من قال إن الجرش المقام، ولكنهم قالوا إن الجرش الصوت، ومنه الملح الجريش لأنه حُك

(١) الزمخشري (جُرَش).

(٢) معجم البلدان (جُرَش).

(٣) معجم البلدان (جُرَش).

بعضه ببعض فصوت حتى سُحِقَ لأنه لا يكون ناعماً^(١). ونعود إلى النص عند الهمداني وياقوت، فهما فسّرا (اجترشوا أو اجرشوا بمعنى أقيموا أو البثوا). فهل نقلا هذا الشرح عن غيرهما أم هما شرحاه، فإن كان النقل فلهما في ذلك العذر، وإن كان الشرح منهما فما هو دليلهما؟ وقد مضى العتاب واستحال الدليل بموتهما. وقد أخطأت في كتابي: (مدينة جُرش من المراكز الحضارية القديمة) حيث ركزت على (جرش) بمعنى الدق والسحق والجرش، وأهملت المعاني الأخرى، وأخطأ معي - أيضاً - بعض الذين لم يدرجوا إلا المعنى الذي ذهبت إليه. ولماذا نقول أن الملك الحميري (أسعد ملكي كرب) خاطب قومه بلهجة حميرية، ونحن نعلم أن الحميرية عربية قديمة. لقد كان كتاب لسان العرب ضمن مصادر كتابي (مدينة جُرش) وفيه: (والجُرش: الإصابة، وما جُرش منه شيئاً وما اجترش أي أصاب). لذا يمكن القول أن الملك قال لهم (اجترشوا) أو (اجرشوا) أي أصيبوا شيئاً تتقوتون به. وهذا الحسن الصغاني (ت ٦٥٠هـ) يقول في كتابه: (التكملة والذيل والصلة): "الجُرش: الأكل. وقال ابن شميل: اجرأش، إذا ثاب جسمه بعد هُزال. اجترش: اكتسب. جرأش: ارتفع. واجترش: اختلس"^(٢).

فها هنا أوسع مما في لسان العرب، فنجد الأكل، والاكْتساب، والارتفاع، والاختلاس، وكلها تناسب ما كان فيه القوم من (حمير) فقد يريد الملك الحميري بقوله (اجترشوا أو اجرشوا) أحد المعاني السابقة. وقال أحمد بن فارس: الجرش: الأكل^(٣). ونلاحظ أن الأقوال الثلاثة - في سبب تسمية جُرش - تُنسب إلى أناس من حمير، فالمدينة منذ حملت اسم (جُرش) حميرية حسب أقوالهم. وبقي الأمر المهم وهو: ما هو الصحيح من الأقوال الثلاثة؟ وهذا يحتاج إلى التحديد الزمني لكل من نسب إليه كل قول، وأمامنا: (١) التبع أبو كرب أسعد بن ملكي كرب. (٢) زيد بن أسلم، من حمير. (٣) جُرش، وهو لقب منبّه بن أسلم بن زيد، من حمير.

أمّا التبع أبو كرب أسعد، فقد اختلف في مدة حكمه إلى عدة أقوال، فقيل: (٣٧٨ - ٤١٥م) و (٤٠٠ - ٤١٥م) و (٤٠٠ - ٤٢٠م) و (٤٠٠ - ٤٣٠م) و (٤١٠ - ٤٣٥م)^(٤). وأمّا ما يخص النسب لزيد بن أسلم، أو منبّه بن أسلم الملقب بجُرش، فقد أحاط بهما وبزمنهما الكثير من الأقوال والتخرصات. ولم يبق أمامنا إلا التسليم وقبول تسمية جُرش في القرن الخامس بعد الميلاد، إلا إذا ظهر ما ينفي ذلك أو يؤيده. ونعود إلى

(١) السابق، (جُرش).

(٢) مادة (جرش).

(٣) مجمل اللغة (جرش).

(٤) المفصل، جواد علي، ج٢، ص ٥٧١. دراسات في تاريخ العرب القديم، مهران، ص ٣٦١. أوراق في تاريخ اليمن القديم، يوسف عبد الله، ص ٢٥٢. التشريعات في جنوب غرب الجزيرة العربية، نورة النعيم، ص ٧٤.

النص الوارد في القول الأول من الأقوال حول تسمية جُرش، وهو المقطع الذي يقول: (وهي إذ ذاك خربة، ومعدّ حالة حواليتها). وهو يرتبط بالقرن الخامس الميلادي، عصر التابع أسعد كما أسلفنا. فهل أراد بمعنى خربة أنها كانت قائمة فخربت، أو بمعنى المكان الخراب ضد العمارة؟ ونأخذ بالرأي الأول؛ أي أنها كانت قائمة فخربت، ودليل ذلك ما ورد في تقرير المسح الأثري لمدينة جُرش الذي تم ضمن المواقع الأثرية في المنطقة الجنوبية الغربية بالمملكة العربية السعودية عام (١٤٠٠هـ/١٩٨٠م)، حيث يقول: "وجدنا بتحليل^(١). طبقات التربة أن الطبقة السفلية بالموقع تعود إلى القرن الأول بعد الميلاد، وأن الطبقة الخامسة ترجع لعام (٢٨٠) ميلادية، بينما تعود الطبقات العلوية إلى فترات لاحقة، وترجع الطبقة الرابعة لعام (٥١٠) ميلادية، والثالثة للعصر الإسلامي، والثانية والأولى لعام ١٠٣٠م"^(٢). ونستنتج من ذلك: (١) أن بداية الاستيطان كان في القرن الأول للميلاد. (٢) أن الطبقة الرابعة كانت بعد التابع أسعد. وهذا يؤيد تسمية جُرش خلال القرن الخامس الميلادي، أما اسمها قبل ذلك فلا نعلمه. والمهم أننا أفدنا من هذه التسمية التحديد التقريبي لظهور جُرش بهذا الاسم.

(*) استيطان جُرش:

لوعدنا إلى تقرير المسح الأثري لمدينة جُرش الذي تم ضمن المواقع الأثرية في المنطقة الجنوبية الغربية بالمملكة عام (١٤٠٠هـ/١٩٨٠م) وقد نشر تقرير المسح المبدئي الثاني في مجلة (أطلال) السعودية، وهذا نص ما يخص جُرش: "في منطقة خميس مشيط الواقعة شمال مدينة نجران، يمثل موقع جُرش (٢١٧ - ١١٨) مركزاً محلياً شمالياً لحضارة جنوب الجزيرة العربية، وكما هو الحال في منطقة نجران، فإن هذه المنطقة تحتوي على نوعين متميزين من المنشآت: الأول يتمثل في مبان من النوع الضخم، تحتوي على أساسات حجرية ومشيدة على طريقة الأطراف البارزة باستخدام أسلوب التثبيت المثلث الزوايا الذي تحدثنا عنه من قبل في موقع الأخدود، وقد عثرنا على خمسة مبان على الأقل من هذا النوع على الرغم من أن بعضها قد تعرض حديثاً لشيء من التغيير. أما النوع الثاني فيتميز باستخدام الحجر المحروق والطين والأحجار الصغيرة، إلا أن ما لحق بالموقع من دمار وما أصابه من عوامل تعرية قد أزال الطين دون أن تمس الحجر أو الأحجار، مما جعل الموقع يبدو كركام ضخم من الدبش والحجارة، منها ستة ركامات على الأقل واضحة للعيان. وقد وقع اختيارنا على أحد هذه الركامات لحفر مجس اختباري مساحته (١×٢ متراً)، توصلنا بواسطته إلى

(١) باستخدام طريقة (كربون-١٤).

(٢) مجلة (أطلال) الرياض، ع ٥، ١٤٠١هـ، ص ٢٥.

حقيقة أن هذه المنطقة تحتوي على أنقاض ومخلفات عمرانية يصل عمقها إلى (٢،٥) متراً، على الأقل، كما تمكنا من التعرف على ثماني طبقات، ولاحظنا وجود ثلاثة مباني مجددة على الأقل مبنية بالأحجار والآجر غير المحروق، كما احتفظنا ببعض العينات من الفخار والعظام لاستخدامها في التحليلات الزمنية للموقع .

وباستخدام طريقة (كربون - ١٤) في تحليل مكونات المجس، حصلنا على نتائج تؤيد الرأي القائل بأن الموقع شهد فترة استيطانية أولى خلال الحقبة الزمنية موضع النقاش هنا، ثم فترة ثانية في بداية العصر الإسلامي . فقد وجدنا بتحليل طبقات التربة أن الطبقة السفلية بالموقع تعود إلى القرن الأول بعد الميلاد، وأن الطبقة الخامسة ترجع لعام (٢٨٠) ميلادية، بينما تعود الطبقات العلوية إلى فترات لاحقة. وترجع الطبقة الرابعة لعام (٥١٠) ميلادية، والثالثة للعصر الإسلامي، والثانية والأولى لعام (١٠٣٠) ميلادية .

أما عن فخار الموقع فهو مطابق تماماً لنظيره في نجران، أي النوع السميك الخشن ذو اللون الأحمر، المزوجة عجينته بالقش، والمزخرف بالخطوط المتموجة والتنقيط، بيد أننا عثرنا على كسرة واحدة فقط من الفخار المطلي ببطانة حمراء، مما يوحي بأنه من النوع البيزنطي المضلع . بالإضافة إلى ذلك فقد عثرنا على كميات كبيرة من مصنوعات الحجر الصابوني العادية والمزخرفة، إلى جانب قطع من الزجاج وخبث الحديد . وكما هو الحال في موقع الأخدود فإن هذا الموقع يبدو أنه قد عاش فترة استيطانية متأخرة إبان العصر الإسلامي (أكدتها نتائج التحليل بطريقة كربون- ١٤) ، نظراً لاحتوائه على كسر من الفخار المطلي باللون الأزرق والمزخرف بطريقة الترشيح، الذي تتميز به فترة العصر العباسي . وكما هو معروف عن مدينة جرش، فقد كانت ذائعة الصيت أيام بعثة رسول الله ﷺ كأحد المراكز الضخمة في صناعة الجلود . وعلى بعد ثلاثة أرباع كيلو متر تقريباً إلى الشرق من جرش، هناك موقع جبل حمومة (٢١٧ - ١١٩) الذي عثرنا فوقه على ستة نقوش كتابية على الأقل يوجد معظمها بالقرب من قمة الجبل، التي وجدنا فوقها بقايا أساسات لمبنى صغير مساحته (١٥×١٠) متراً، ومشيد من جلاميد ضخمة ملئت الفراغات فيما بينها بالدبش، ويوضح مخطط المبنى وجود ثلاث غرف على الأقل ممتدة بالطول، بينما يتناثر حوله كمية كبيرة من الفخار البني اللون المزوج بالقش والمطلي ببطانة حمراء، تضم بعض القطع اللامعة ذات الزخارف المحزوزة والمؤبلة . وأخيراً فقد عثرنا على بعد كيلو مترين تقريباً شرق مدينة جرش وسط تلال منخفضة من الجرانيت، على موقع يدعى (شعيب الهرير) (٢١٧-١٢٠) كان يحتوي على عدة نقوش كتابية محفورة بعناية^(١) .

(١) العدد الخامس، ١٤٠١هـ، ص ٢٥ .

ولذلك يمكن القول : أن الموقع شهد فترة استيطانية أولى تزامنت مع ازدهار حضارة جنوب الجزيرة العربية، واستمرت دون انقطاع خلال العصر الإسلامي المبكر، ثم بدأ دورها في التراجع - ربما تدريجياً - بعد القرن الخامس الهجري، حتى فقدت أهميتها كلياً على الأرجح بعد القرن العاشر الهجري، في الوقت الذي لم يتوقف النشاط الاستيطاني في المنطقة، إلا أنه لم يعد قاصراً على مكان واحد، وإنما أقام العديد من القرى في أرجاء المنطقة، وتوزيع دور جُرش على عدة مدن وقرى خلال العصر الإسلامي على وجه الخصوص، والتي بدأ بعضها في الظهور قبل الإسلام بقليل، أو في فجر الإسلام؛ ومن ضمنها برك الغماد، وضنكان، وتباله، والجهوة، وبيشة وغيرها من المدن والقرى التي استمر بعضها حتى الوقت الحاضر^(١). وحسب معطيات التقرير - أيضاً - يمكن تحديد عمر مدينة جُرش في حدود ألفي سنة، فهناك ثمان طبقات تعود الطبقة السفلية منها إلى القرن الأول بعد الميلاد .

(* جَبَلَا حَمُومَة وَشَكْر :

يمثل هذا العنوان المبحث الثالث من الفصل الأول ضمن كتابي (مدينة جُرش من المراكز الحضارية القديمة) وفيما يلي أسوق النص الكامل لهذا المبحث: في كتاب: صفة جزيرة العرب^(٢). ذكر جبل حمومة، وأنه يقع شرقي جُرش وبينهما مسيل، وهذا المسيل هو وادي بيشة. وذكر ابن هشام في خبر وفد صُرد بن عبد الله الأزدي أن أهل جُرش بعثوا رجلين منهم إلى رسول الله ﷺ بالمدينة يرتادان وينظران، فبينما هما عند رسول الله ﷺ عشية بعد صلاة العصر، إذ قال رسول الله ﷺ: بأي بلاد الله شكر؟ فقام إليه الجرشيان فقالا: يا رسول الله، ببلادنا جبل يقال له كشر؛ وكذلك يسميه أهل جُرش، فقال: إنه ليس بكشر، ولكنه شكر^(٣). ويقول هاشم بن سعيد النعمي^(٤) إن جبل حمومة هو جبل شكر. وأوردت حوليّة الآثار العربية السعودية (أطلال) ما نصه: وعلى بُعد (٤/٣) كم تقريبا إلى الشرق من جُرش، هناك موقع جبل حمومة الذي عثرنا فوقه على ستة نقوش كتابية على الأقل يوجد معظمها بالقرب من قمة الجبل، التي وجدنا فوقها بقايا أساسات لمبنى صغير مساحته (١٥ × ١٠) مترا، ومشيد من جلاميد ضخمة ملئت الفراغات فيما بينها بالدبش^(٥)، ويوضح المخطط وجود ثلاث غرف على الأقل ممتدة بالطول، بينما يتناثر حوله كمية كبيرة من الفخار البني اللون^(٦).

(١) آثار منطقة عسير، د. أحمد بن عمر الزيلعي (وآخرون)، ص ٥٨ .

(٢) الهمداني، ص ٢٥٦ .

(٣) السيرة النبوية، ج ٤، ص ١٧٢، ١٧٤ .

(٤) تاريخ عسير، ص ١٢ .

(٥) صفار الحجارة المخلوطة بالحصى .

(٦) العدد الخامس، ١٤٠١هـ، ص ٢٦ .

ولنا وقفة مع هذه النصوص من حيث تسمية جبل حمومة بشكر هي: أننا نعلم أن جُرش اشتهرت بصناعة المنجنيق والعرادات وغيرها من وسائل الحرب إضافة إلى أن جبل حمومة يقع على بعد (٧٠٠) متر تقريبا إلى الشرق من جُرش، ونعلم أيضا أن طريق جُرش إلى المدينة المنورة يتجه إلى الشمال الغربي من جُرش. وفي خبر سرد بن عبد الله الأزدي أثناء غزوه لأهل جُرش أنه رجع عنهم قافلا حتى وصل جبل شكر فخرج أهل جُرش في طلبه. وبهذا نحدد هذه المناقشة بعدة نقاط هي: (١): أن المسافة بين جُرش وجبل حمومة لا تعطي التصور لأهل جُرش أنه انسحب عنهم لعدة أسباب منها: (أ) قرب الجبل منهم مما يمكنهم من إصابة سفحه بالمنجنيق والعرادات، (ب) أنه في غير اتجاه الطريق الصحيح فكيف تجوز هذه الخدعة. (ج) هذه المسافة لا تصلح لجولات الخيل وانطلاق الرجال لوقوع الوادي بينهما وعدم استواء الأرض. (٢) تملك أهل جُرش للأسلحة المتطورة في وقتهم يجعل جبل حمومة في مجال قذائفهم. كما أنه يمثل موقعا مهما للمحاصرين من أصحاب صُرد. (٣) لو نظرنا إلى موقع جبل (شُكر) الذي يقع شمال جبل ضُمك الشامخ القمة لكان لدينا من الأسباب والأدلة ما يمكن أن يقال: إنه جبل شكر وهي: (١) وقوعه تقريبا في اتجاه الطريق الصحيح للعودة من جُرش إلى المدينة المنورة. (ب) يُعطي التصور الصحيح لعملية الانسحاب التي قام بها صرد، فهناك من البعد بينه وبين جُرش ما يؤيد هذا التصور. (ج) استواء الأرض حوله مما يمكن الخيل والرجال من الكر والفر. (د) وجود التحصينات الطبيعية التي ساعدت على اختباء جيش صرد. (٤) إجماع الكثير من رجال المنطقة العقلاء وكبار السن على أن جبل (شُكر) هو الجبل الذي يقع شمال جبل (ضُمك).

(٥) يعتبر جبل (ضُمك) وجبل (حمومة) من الجبال المكشوفة التي لا تصلح لاختباء أفراد الجيش، أما جبل (شُكر) فإن الذي يراه عن قرب يرى مدى أهمية المواقع العسكرية التي مكنت جيش صُرد من الاختباء ثم الظهور بسرعة والاشتباك مع أهل جُرش. أما اعتماد الشيخ هاشم النعمي على أن السيل فصل بين الجيشين واتخاذ دليلاً على أنه وادي بيشة الذي يقع بين جبل حمومة وجُرش، فنجد أن حول جبل (شُكر) عدة مساليل تعتبر أودية صغيرة. وبهذا نجد أن جبل (شُكر) يقع شمال غرب جبل (ضُمك) كما توضحه بعض الخرائط. وكما يُسمّى الموقع شرقي جبل (شُكر) بـ (البَغْت).

هذا ما ذكرته عن هذين الجبلين، ودار كلامي في محورين، هما: (١) أن جبل حمومة ليس جبل شُكر. (٢) إثبات جبل شُكر في شمال جبل ضُمك. ولا زلت مُصرّاً

على المحور الأول، وهو أن جبل حمومة ليس جبل شَكَر، وذلك تبعاً للأسباب المذكورة في مكانها. وأقف مع المحور الثاني موقف المتأني، فهو يحتاج إلى إعادة النظر، مع ملاحظة التحفظ الوارد في كلامي حيث قلت (ما يمكن أن يقال: إنه جبل شَكَر) وأعود هنا لأقول: لا يمكن الجزم بما قلته عن جبل شَكَر الواقع شمال جبل ضمك، فقد يكون ضمك هو شَكَر، وقد يكون غيره من الجبال القريبة، خاصة ما يكون في طريق عودة صرد بن عبد الله الأزدي وجيشه، لأن أهل جُرَش توهّموا انسحابه، ولا يكون كذلك إلا بقريئة تدل على ذلك، ولا تتضح إلا عندما يسلك طريق العودة. فهل جبل حمومة القريب جداً من جُرَش يعطي التصور بالانسحاب فيما لو لجأ إليه صرد؟ قطعاً لا. فجبل حمومة من صميم مدينة جُرَش ذاتها، فقد كان في أعلاه مبنى يتكون من ثلاث غرف تقريبا، ولو أمعنا النظر فيما ورد في تقرير المسح الأثري - ذكرته أعلاه - الذي تم عام (١٤٠٠هـ/١٩٨٠م) ونشر في مجلة أطلال لأدركنا أننا أمام جبل لا يبعد عن جُرَش إلا بنحو (٧٠٠) متر تقريبا، وتحديد هذه المسافة تم على واقع الأطلال الظاهرة من مباني المدينة، التي تم كشف بعضها عام (١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م)، فأين سور المدينة الذي جعل صرد ينسحب عنه بعد حصاره لجُرَش. ربما كان جبل حمومة داخل هذا السور، وإن لم يكن كذلك فإن هذا السور سيكون على ضفة الوادي الغربية، وعند ذلك تقل المسافة المقدرة حالياً بـ (٧٠٠م) تقريبا. فهل نقبل بعد كل هذا بقاء التصوير لأهل جُرَش بانسحاب المحاصرين لهم إلى جبل أقل ما يقال عنه أنه كان مجاوراً لجُرَش إن لم يقع داخلها.

(* دخول أهل جُرَش في الإسلام :

ورد خبر إسلام أهل جُرَش في كتب التاريخ والسِّير، ومنها: (١) السيرة النبوية، لابن هشام. (٢) الطبقات الكبرى، لابن سعد. (٣) تاريخ الطبري. (٤) الكامل في التاريخ، لابن الأثير. وغيرها من كتب التاريخ الإسلامي وأورد هنا نص ابن هشام^(١). في كتابه السيرة النبوية: قدم على رسول الله ﷺ صرد بن عبد الله الأزدي، فأسلم وحسن إسلامه، في وفد من الأزد، فأمره رسول الله ﷺ على من أسلم من قومه، وأمره أن يجاهد بمن أسلم من كان يليه من أهل الشرك، من قبل اليمن. فخرج صرد بن عبد الله يسير بأمر رسول الله ﷺ، حتى نزل بجُرَش، وهي يومئذ مدينة معلقة^(٢). وبها قبائل من قبائل اليمن، وقد ضوت إليهم خثعم، فدخلوها معهم حين سمعوا بسير المسلمين إليهم، فحاصروهم فيها قريبا من شهر، وامتنعوا فيها منه، ثم رجع عنهم

(١) السيرة النبوية، ج٤، ص١٧٢، ١٧٤.

(٢) وردت في بعض الكتب: مغلقة، أي محصنة.

قافلاً، حتى إذا كان إلى جبل لهم يقال له كشر، ظن أهل جُرش أنه وليّ عنهم منهزماً، فخرجوا في طلبه، حتى إذا أدركوه عطف عليهم، فقتلهم قتلاً شديداً، وقد كان أهل جُرش بعثوا رجلين منهم إلى رسول الله ﷺ بالمدينة يرتدان وينظران فيينا هما عند رسول الله ﷺ عشية بعد صلاة العصر، إذ قال رسول الله ﷺ: بأي بلاد الله شكر؟ فقام إليه الجرشيان فقالا: يا رسول الله، ببلادنا جبل يقال له كشر؛ وكذلك يسميه أهل جُرش، فقال: إنه ليس بكشر، ولكنه شكْر؛ قالوا: فما شأنه يا رسول الله؟ قال: إن بُدُن لتتحرّ عنه الآن، قال: فجلس الرجلان إلى أبي بكر أو إلى عثمان، فقال لهما: ويحكما! إن رسول الله ﷺ لينعي لكما قومكما فقوما إلى رسول الله ﷺ، فاسألاه أن يدعو الله أن يرفع عن قومكما؛ فقاما إليه فسألاه ذلك، فقال: اللهم ارفع عنهم، فخرجوا من عند رسول الله ﷺ راجعين إلى قومهما، فوجدا قومهما قد أصيبوا يوم أصابهم صرد بن عبد الله في اليوم الذي قال فيه رسول الله ﷺ ما قال، وفي الساعة التي ذكر فيها ما ذكر، وخرج وفد جرش حتى قدموا على رسول الله ﷺ فأسلموا، وحمى لهم حمى حول قرينتهم، على أعلام معلومة، للفرس والراحلة وللمثيرة، وبقرة الحرث، فمن رعاها من الناس فمالهم سحت). وكل ما مضى يتعلق بإسلام أهل جُرش عن طريق الحرب، إلا أن البلاذري يخالف ذلك، فيقول " (حدثني بكر بن القيثم، عن عبد الرزاق عن معمر، عن الزهري، قال: أسلم أهل تباله وجرش من غير قتال، فأمرهم رسول الله ﷺ على ما أسلموا عليه، وجعل على كل حالم ممن بهما من أهل الكتاب ديناراً واشترط عليهم ضيافة المسلمين. وولى أبا سفيان بن حرب جرش" (١). وقال ياقوت الحموي: "أسلم أهل تباله وجُرش من غير حرب فأقرهما رسول الله ﷺ، في أيدي أهلها على ما أسلموا عليه، وجعل على كل حالم ممن بهما من أهل الكتاب ديناراً، واشترط عليهم ضيافة المسلمين" (٢). وقال في رسم (جُرش): "فتحت جُرش في حياة النبي ﷺ، في سنة عشر للهجرة صلحاً على الفيء، وأن يتقاسموا العُشر ونصف العُشر" (٣). ويمكن دَفْع التّعارض بين الروايتين، بأن إسلام أهل جُرش بالحرب كان قبل ذهاب وفدهم إلى المدينة. والأمر يحتاج إلى توسع في دراسة السُّند لكل رواية، والبحث عن روايات أخرى، وهذا يحتاج إلى وقت وجهد، وهو ما لا أملكه الآن.

(١) فتوح البلدان، ص ٧٠.

(٢) معجم البلدان (تباله).

(٣) معجم البلدان (جُرش).

٢- قبيلة عَنز بن وائل :

أ- المسار التاريخي لقبيلة عَنز بن وائل : تمثل قبيلة رُفيدة أحد الفروع الثلاثة لقبيلة عَنز بن وائل، وهي (عسير، أراشة، رُفيدة) وهذا يستلزم استعراض المسار التاريخي لقبيلة عَنز في سراتها التي حملت اسمها (سراة عَنز بن وائل) وهو كما يلي :

(* عَنز بن وائل في العصر الجاهلي وأوائل القرن الأول الهجري :

عند الهمداني إشارات واضحة تؤكد وجود قبيلة عَنز بن وائل في العصر الجاهلي، وأوائل القرن الأول الهجري، فهذا عمرو بن يزيد أخو بني حِي بن عوف يقول :
ومِلْتُ إلى عَنز فُضي دار وائل بَهَائِلُ مَنَّا سادة وأسود
ويقول الهمداني : "مُحَكَّم بن عمرو بن يزيد بن عمرو بن مسعود، وهو الذي رجع من بلد عَنز بن وائل من دم أصابه من قومه، وذلك بعد خروج أبيه إلى المدينة^(١) . في آخر أيام الهجرة"^(٢) .

ويقول مالك بن قطينة العويبي :

تَرَحَّل عمرو عن قطائع قومه فحالف موج البحر عَنز بن وائل

(* عَنز بن وائل في القرن الثاني الهجري : قال ابن الكلبي (ت ٢٠٤هـ) :

"عَنز مع خثعم حيث كانوا حلفاء لهم" ثم قال : " وهم إلى جنب خثعم، وهم بالسراة مع خثعم حيث كانوا"^(٣) . وفي سنة (١٣٤هـ/ ٧٥١م) رحل أحمد بن يزيد بن عمرو بن نابت بن الريان القشيب العوسجي من صعدة إلى جُرَش، ونزل في تندحة، وكانت من أحواز جرَش التي تسيطر عليها قبيلة عَنز بن وائل، فوقع الحرب بينه وبين عَنز، وانتصر عليهم، وسكن في جُرَش^(٤) . وهذا يدل على تمكن عَنز من سراتها أصلاً .

(* عَنز بن وائل في القرن الثالث الهجري :

من خلال ما ورد عن عَنز في القرن الثاني كحلف مع خثعم حسب كلام ابن الكلبي، وما سيرد عن قبيلة عَنز كصاحبة ديار وسراة تحمل اسمها في القرن الرابع الهجري حسب كلام الهمداني . أقول : من خلال ذلك يمكن القول - على وجه التأكيد - بأن لقبيلة عَنز سراة وديارا تحمل اسمها في القرن الثالث الهجري .

(١) المدينة المنورة .

(٢) الإكليل، ج ١، ص ٢٥٥ .

(٣) جمهرة النسب، ج ٢، ص ١٩٣ (تحقيق العظم) .

(٤) الإكليل، ج ٢، ص ١٣٩ . قصة الأدب في اليمن، أحمد محمد الشامي، ص ٢٦٠ .

(*) عَنْزُ بِنِ وائِلِ فِي الْقَرْنِ الرَّابِعِ الْهَجْرِيِّ :

تَجَلَّتْ فِي هَذَا الْقَرْنِ صُورَةٌ وَاضِحَةٌ لِسِرَاةِ عَنْزِ بِنِ وائِلِ، فَقَدْ وَضَعَهَا الْهَمْدَانِيُّ فِي ضَمَنِ السَّرَوَاتِ، وَجَعَلَ بِلَادَهَا بَيْنَ سِرَاةِ جَنْبِ جَنُوبًا، وَسِرَاةِ الْحَجَرِ شِمَالًا^(١). وَقَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ عَنْ جُرَشٍ : : هِيَ كَوْرَةٌ نَجْدِ الْعَلِيَا، وَهِيَ مِنْ دِيَارِ عَنْزٍ، وَيَسْكُنُهَا وَيَتْرَأَسُ فِيهَا الْعَوَاسِجُ مِنْ أَشْرَافِ حَمِيرٍ^(٢). وَقَالَ الْهَمْدَانِيُّ فِي الْإِكْلِيلِ^(٣) : "إِنَّ جُرَشَ مَنَاصِفَةَ بَيْنِ الْعَوَاسِجِ وَعَنْزِهِ وَهَذَا الرَّحَالَةُ الْيَمْنِي، يَحْكِي هَذَا الْوَاقِعَ فِي النِّصْفِ الْأَوَّلِ مِنَ الْقَرْنِ الرَّابِعِ، وَذَلِكَ يَدُلُّ عَلَى قَدَمِ هَذَا الْأَسْتِيْطَانِ وَالتَّسْمِيَةِ بِدِيَارِ عَنْزٍ، وَلَا شَكَّ أَنَّ ذَلِكَ حَصَلَ قَبْلَ ذَلِكَ بِمَدَّةٍ طَوِيلَةٍ، إِذْ لَا يُمْكِنُ أَنْ يُطْلَقَ عَلَيْهَا سِرَاةٌ عَنْزٌ أَوْ دِيَارٌ عَنْزٌ إِلَّا إِذَا كَانَ لِهَذِهِ الْقَبِيلَةِ وَجُودٌ مُتَّصِلٌ مِنْذُ مِئَةِ عَامٍ عَلَى الْأَقْلِ . إِضَافَةً إِلَى عَدَمِ ذِكْرِهِ لِلْحَلْفِ الَّذِي ذَكَرَهُ ابْنُ الْكَلْبِيِّ بَيْنَ خَثْعَمٍ وَعَنْزٍ . وَكَانَ الشَّاعِرُ مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ إِسْحَاقَ الْعَوَسْجِيِّ مُعَاَصِرًا لِلْهَمْدَانِيِّ، وَسَاقَ لَهُ شَعْرًا فِي بَعْضِ أَيَّامِهِ مَعَ عَنْزِ بِنِ وائِلِ، مِنْهُ :

وَكَيْفَ تَرَى عَنْزَ خَضُوعِي وَذَلَّتِي وَنَهْدُ وَجَنْبُ جَيْرَتِي وَأَقَارِبِي
وَمِنْهُ :

لَا عَيْشَ يَغْبِطُنِي وَلَسْتُ بِغَافِلٍ حَتَّى أَنْامَ وَدَارَ عَنزٌ مَهْيَعٌ^(٤) .

(*) عَنْزُ بِنِ وائِلِ فِي الْقَرْنِ الْخَامِسِ الْهَجْرِيِّ :

فِي سَنَةِ (٤٥١هـ/ ١٠٥٩م) خَرَجَ الْقَاسِمُ وَمُحَمَّدُ ابْنَا جَعْفَرِ بْنِ الْقَاسِمِ الْعَيَّانِي مِنَ بِلَادِ صَعْدَةَ، وَهَمَا يَقْصِدَانِ وَادِي تَرْجٍ بِأَعَالِي بَيْشَةَ . وَقَدْ ذَكَرَ هَذِهِ الرَّحْلَةَ مَفْرَحُ بْنُ أَحْمَدَ الرَّبْعِي فِي كِتَابِهِ: (سِيْرَةُ الْأَمِيرِينَ الْجَلِيلِينَ) وَأَشَارَ إِلَى مَرُورِهِمْ بِبِلَادِ سَنْحَانَ، وَبِلَادِ عَبِيدَةَ مِنْ جَنْبِ، حَتَّى دَخَلُوا بِلَادَ عَنْزِ بِنِ وائِلِ، وَاسْتَضَافَهُمُ الْبَدَاخُ وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ جَدِيمَةِ مَنْزِلِ بِنِ وائِلِ، وَهُوَ دَلِيلُ الْحَاجِّ، وَكَانَ مُفَاتِنًا لِلْعَوَاسِجِ بِجُرَشٍ . وَقَالَ الرَّبْعِي : اسْتَضَحَبَ لَنَا رَجُلًا رُفَيْدِيًّا مِنْ عَنْزٍ^(٥) . قُلْتُ : يَتَضَحُّ مِنْ هَذِهِ الرَّحْلَةِ وَجُودِ قَبِيلَةِ عَنْزِ بِنِ وائِلِ فِي سِرَاةِ عَنْزٍ، وَذَلِكَ يُؤَيِّدُ تَقْسِيمَ الْهَمْدَانِيِّ لِلْسَّرَوَاتِ، فَتَجِدُ الرَّبْعِي يَذْكُرُ عَبِيدَةَ مِنْ جَنْبِ، وَهِيَ الْحَدُّ الْجَنُوبِي لِسِرَاةِ عَنْزٍ عِنْدَ الْهَمْدَانِيِّ .

(١) صفة جزيرة العرب، ص ١١٩ . وانظر : أحسن التقاسيم للمقدسي، ص ١٠٣ .

(٢) المصدر السابق، ص ٢٥٥ .

(٣) ج ٢، ص ١٣٩ .

(٤) ص ١١٩ .

(٥) الإكليل، ج ٢، ص ١٤٢ .

(*) **عَنْز بن وائل في القرن السادس الهجري :**

هناك الكثير من النصوص التاريخية التي تؤكد وجود قبيلة عَنْز بن وائل في سراة عَنز، ومدينة جُرَش، فمن ذلك ما جاء في كتاب (سيرة الإمام أحمد بن سليمان)، من تأليف سليمان الثقفي (ت بعد ٥٦٦) إذ يقول في أحداث سنة (٥٣٥هـ/١١٤٠م) : "وصل في تلك المدة إليه^(١). مشايخ من جَنب بن سعد من أهل راحة وما يليها، وذكروا له رجلاً من عَنز يقال له عرفطة بن الطحل أنه قطع طريق الحاج إلى بيت الله الحرام، وسألوه المخرج إليه فععل ذلك، ونهض بقوم من خولان أهل خيل وتراس وقياس"^(٢) وقال : "ووفد إليه مشايخ خثعم منهم مزروع بن زياد، فَهَمَّ بالمخرج معهم إلى بلاد عَنز، وعلمت بذلك خولان فوصلوا إليه وسألوه التوقف لانشغالهم ذلك الوقت بالزرائع وغيرها إلى أن يفرغوا فععل ذلك، ثم تقدم في شهر صفر إلى المغرب من بلاد خولان فبلغ بني بحر وغيرهم، وتقدم إلى الأبقور ووصل جبل الغز يدعو الناس إلى الجهاد في سبيل الله، ويحضهم على المخرج معه إلى الشام"^(٣) وكان حريصاً على المخرج إلى بلاد عَنز، وكان قد عقد بذلك للجنبيين والخثعميين، وقال في ذلك الوقت شعراً يؤنب فيه قبائل خولان ويحضهم على المخرج معه، ومنه:

دعوت الملا طرا إلى خير الأديان وناديت جهراً في نزار وقحطان
إلى أن قال :

وأبت ووافاني مشايخ خثعم وجنب بناة المكرمات وسنحان
وقالوا تخرج نحو عَنز فإنهم أحق الملا بالخزي في كل الأحيان
وهم قطعوا الحجاج من بيت ربنا وفيهم طغاة أهل فسق وعصيان^(٤)

وهناك حادثة الوباء التي حصلت في سراة عَنز، فقد ذكرها ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٣م) فقال في حوادث سنة (٥٩٧هـ/١٢٠٠م) : "وفيها وقع في بني عَنز بأرض الشراة^(٥). بين الحجاز واليمن وباء عظيم، وكانوا يسكنون في عشرين قرية، فوقع الوباء في ثمان عشرة قرية فلم يبق منهم أحد، وكان الإنسان إذا قرب من تلك القرى يموت ساعة ما يقاربها فتحامها الناس وبقيت إبلهم وأغنامهم لا مانع لها، وأما

(١) أي إلى الإمام أحمد بن سليمان .

(٢) ص ٩٩ .

(٣) يريد بالشام بلاد عَنز .

(٤) ص ١٠٠ . (والأبيات ركيكة) .

(٥) وردت بالشين المعجمة، وصوابها بالسين المهملة .

القريتان الأخريان فلم يمت فيهما أحد ولا أحسوا بشيء مما كان فيه أولئك^(١). وأورد ابن كثير (ت ٧٧٤هـ) في حوادث سنة (٥٩٧هـ/١٢٠٠م) : شيئاً مما ذكر ابن الأثير . وذكر ابن دعثم هذه الحادثة، وأرَّخها في سنة (٥٩٩هـ/١٢٠٢م)، فقال : " مَنْ اللهُ عَلَى مَنْ دَخَلَ فِي طَاعَتِهِ^(٢) وَصَبَّ النِّقْمَةُ عَلَى مَنْ خَرَجَ عَنْهَا، وَالْمَوْتُ بِالطَّاعُونَ الشَّنِيعِ فِي بَلَدِ عَنَزٍ"^(٣). وقال أيضاً في حوادث سنة (٥٩٩هـ/١٢٠٢م) : " ومنها الطاعون الذي حدث في بلاد عَنَزِ بْنِ وَائِلٍ"^(٤). وذكر هذه الحادثة أحمد بن صالح بن أبي الرجال وقال أنها وقعت سنة (٥٩٧هـ/١٢٠٠م)^(٥). وقد بحث هذه الحادثة أحمد بن علي مطوان في كتابه: (جُرَشُ، دراسة في المكان والسكان)^(٦). وأفاض في الحديث عنها، ورَجَّح وقوعها في جُرَشِ من ديار عَنَزِ بْنِ وَائِلٍ آنذاك، ثم ساق الرواية الشعبية المتداولة عن هذا الوباء.

(* عَنَزِ بْنِ وَائِلٍ فِي الْقُرْنِ السَّابِعِ الْهَجْرِيِّ :

قال يحيى بن الحسين (ت ١١٠٠هـ) في حوادث سنة (٦١٤هـ/١٢١٧م) : " دعا الإمام المعتضد بالله يحيى بن المحسن بن محفوظ بن محمد بن يحيى، من أولاد الهادي، للإمامة بنواحي صعدة، وكان أهلاً للإمامة، فأجابه كثير من العلماء، ودخل صعدة، ثم تخوف من الأشراف بني حمزة، فخرج إلى الشام^(٧) واستنصر بقوم من عَنَزِ وَبَنِي شَرِيفٍ، فأعانوه بنحو ثلاثمائة فارس"^(٨). قلت : " في هذا النص دلالة على وجود عَنَزِ فِي هَذَا الْقُرْنِ، مع استمرار قوتهم، حتى أن هذا الإمام يستنصر بهم مع بني شريف. وفي سنة (٦١٩هـ/١٢٢٢م) استنصر عز الدين محمد بن الإمام حاتم بن الحسين بعَنَزِ وَبَغِيرَهَا مِنَ الْقِبَائِلِ، وَفِي ذَلِكَ يَقُول :

حَوْلِي الْيَعْرُبَانِ عَنَزُ وَقِحْطَانُ وَجَنْبُ وَأَخْتَهَا أَنْمَارُ^(٩).
وشهد هذا القرن (٧هـ/١٣م) اختفاء ذكر مدينة جُرَشِ فِي الْمَصَادِرِ التَّارِيخِيَّةِ، مع قبيلة عَنَزِ بْنِ وَائِلٍ كقوة مهيمنة على هذه المدينة . فنجد ياقوت الحموي (ت بعد

(١) الكامل في التاريخ، ج٩، ص ٢٥٦ .

(٢) يقصد الإمام عبد الله بن حمزة .

(٣) السيرة المنصورية، ج١، ص ٥٦ .

(٤) المصدر السابق، ج١، ص ٣٢٧ .

(٥) مطلع البدور ومجمع البحور، ج١، ص ١٠ .

(٦) ص ١٤٠ .

(٧) المقصود جهة الشام، أي ديار عَنَزِ .

(٨) غاية الأمان، ج١، ص ٤٠٧ .

(٩) السمط الغالي الثمن، بدر الدين محمد بن حاتم الياامي، ص ١٧٩ .

٦٢٦هـ) يذكر مدينة جَرَش ويتحدث عنها. ثم نجد ابن المجاور (ت ٦٩٠هـ) ^(١). يتحدث عن ذهبان، وكأنها قاعدة للمنطقة، فيقول: "أما ذهبان فهي أم القرى ودور أعمالها أربعون فرسخاً" ^(٢). ولم يذكر ابن المجاور مدينة جَرَش. وهذا لا يعني انقراض قبيلة عَنَز بن وائل، وإنما زوال قوتها وسيطرتها. فقد ذكر ابن المجاور - نفسه - في وصفه الطريق من صعدة إلى ذهبان، وهو يتحدث عن موضع مدينة أحد رفيدة وما حولها، فقال: "وتسمى هذه الأعمال ببيشة العباس بن مالك بن عمرو بن وائل يرجع إلي نزار" ^(٣). والصواب بعد مالك: من عَنَز بن وائل. وذكر السخاوي (ت ٩٠٢هـ) رجلاً اسمه: محمد بن مقبل بن سعد بن زائد العُقَيْلي، ولد سنة (٧٩٠هـ) في بيشة من بلاد نجد، ثم صاهر قبيلة عَنَز بنواحي اليمن، ولم يذكر تاريخ وفاته ^(٤). وفي القرن الثاني عشر الهجري (الثامن عشر الميلادي) نجد عباس بن علي الموسوي (ت ١١٨٠هـ) يذكر (عَنَز) في رحلته من مكة إلى اليمن عبر السراة، في نحو سنة (١١٤٢هـ/١٧٢٩م) ^(٥) ولكن ما أورده كان من قبيل النقل عن كتاب، أو أن أحداً أخبره بذلك، لأنه لم يمر على سراة عَنَز. وفي القرن (١٣هـ/١٩م) - أيضاً - ظهر اسم (ببيشة ابن سالم) ويطلق هذا الاسم على مدينة أحد رفيدة وما جاورها، وابن سالم من آل سالم من قبيلة (ذُعَي) من (رفيدة)، ومن أشهر زعماء أسرة آل سالم (غشام بن عامر) المعاصر للإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود ^(٦). ونخلص من هذا الفصل إلى أصالة عَنَز بن وائل في سراتها، وبفروعها: (عسير، وأراشة، ورفيدة)، وأن عصر عَنَز بن وائل يعود إلى أكثر من ثلاثمئة سنة قبل الهجرة، واستمر هذا الوجود إلى يومنا هذا.

ب- الموقع الجيني المذهبي العنزِي :

يُعدّ ابن الكلبي - فيما أعلم - أوّل من ساق نسب عَنَز بن وائل إلى عدنان، فقال: "عَنَز - واسمه عبد الله - ابن وائل بن هَنب بن أَفْصَى بن دُعَمَي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معدّ بن عدنان" ^(٧). وأخذ بهذا النسب من جاء بعده، وترسّخت الرُبُعيّة، أو النزارية، أو العدنانية في عَنَز بن وائل، حتى قال عنها الهمداني: "يمانية

(١) هناك خلاف حول شخصية ابن المجاور وتاريخ وفاته .

(٢) تاريخ المستبصر، ص ٢٨.

(٣) تاريخ المستبصر، ص ٢٨، ص ٢٠٨.

(٤) الضوء اللامع، ج ١٠، ص ٥٢.

(٥) مع الموسوي المكي في رحلته، حمد الجاسر، مجلة (الفیصل)، ع ٢٣٠، ص ٢٦.

(٦) أحد رفيدة وجرش (علاقة المكان والسكان) محمد بن أحمد معبر، بحث منشور في كتاب: (القول المكتوب في تاريخ الجنوب) ج ٥ ص ٣١٦.

(٧) نسب معدّ واليمن الكبير، ج ١، ص ٩٤.

تَنَزَّرَتْ" (١). وبما أن ابن الكلبي قد ذكر وجود عَنَزٍ في السراة وقرن ذلك بحلف مع خثعم، فإن هذا يدل على اتفاقهما - ابن الكلبي والهمداني - على الموقع الجغرافي لقبيلة عَنَز بن وائل في سرّاتها المعروفة باسمها. وقد بنى الهمداني قوله (يمانيّة تنزرت) على الواقع التاريخي في سياق نسب عَنَز عند ابن الكلبي، مع النظر للواقع الجغرافي لسراة عَنَز، الذي يقع في محيط جغرافي يجاور اليمن، ولأن الهمداني صاحب عصبية لليمنية القحطانية، فلم يردّ أمام سياق النسب المذكور أنفاً إلا أن يخرج من هذا الإشكال بقوله: يمانيّة تنزرت .

وكان موقف ياقوت الحموي (ت بعد ٦٢٦هـ) مشابهاً لموقف الهمداني - خلا العصبية - حيث قال: " بأنّ تبعاً أسعد بن كليكرب خرج من اليمن غازياً حتى إذا كان بجرش، وهي إذ ذاك خربة ومعدّ حالة حواليتها" (٢). والشاهد في: معدّ. ونعود إلى ابن الكلبي وسياقه لنسب عَنَز بن وائل في العدنانية، فهو نفسه قد ذكر (عبد الله بن وائل) المذحجي، فقال: " وولد وائل بن مرّان: معاوية، وعبد الله، وبكر" (٣). وهو: عبد الله ابن وائل بن مرّان بن جعفي بن سعد العشيرة بن مذحج. وبذلك أصبح لدينا: (١) عبد الله بن وائل الربيعي النزاري. (٢) عبد الله بن وائل المذحجي. ويقترن كل واحد منهما بأخ اسمه (بكر). فلماذا ساق ابن الكلبي نسب عَنَز إلى الربيعية النزارية؟

عاش ابن الكلبي في مرحلة بداية تدوين الأنساب، وتحولها من الشفاهية إلى الكتابية. وربما نظر ابن الكلبي إلى الأشهر، فوجد وائل ربيعة أشهر من وائل مذحج، مع قرينة تتمثل في اسم أخيه (بكر)، ولقبيلتي بكر وتغلب صيت في الجاهلية، بسبب الحروب التي جرت بينهما، ولذلك ساق نسب عَنَز إلى وائل ربيعة. إلا أن ظهور علم (DNA) يجعلنا نعيد النظر في صحّة ما ذهب إليه ابن الكلبي، فقد جمع التحور (FGC 14297) فروع عَنَز ابن وائل: (عسير، وأراشة، ورقيدة) وهذا التحور فرع سبئي ثم مذحجي (by9). ولا نملك أمام هذه النتائج القاطعة إلا التسليم والقبول بسياق النسب الصحيح لعَنَز بن وائل، وذلك بناء على معيار التكتل للقبائل ذات الموروث السبئي في المصادر التاريخية على التحور (by8)، وهو كما يلي: عبد الله (عَنَز) بن وائل بن مرّان بن جعفي بن سعد العشيرة بن مذحج. ويضاف إلى نتائج التحليل الجيني (DNA) بعض الإيضاحات، ومن أهمها: (١) رابطة النسب الموحدة لفروع عَنَز بن وائل، والمستمرة حتى هذا اليوم. (٢) المسار التاريخي للوجود العنزي منذ العصر الجاهلي،

(١) صفة جزيرة العرب، ص ٢٥٦.

(٢) معجم البلدان (جرش).

(٣) نسب معدّ واليمن الكبير، ج ١، ص ٣٠٩.

من خلال المصادر التاريخية والوثائق المعاصرة . (٣) الموقع الجغرافي لقبيلة عنز في سراتها، والمتوافق مع الموقع الجيني في محيط مذحج، وهذا يجعل من (عبد الله بن وائل الجعفي) أقرب وألصق بمذحج . (٤) التوافق أو التقارب الزمني لكل من عبد الله بن وائل المذحجي، وعبد الله بن وائل الربيعي .

فإذا نظرنا في نسب الصحابي عامر بن ربيعة الرفيدي، وهو عامر بن ربيعة بن كعب بن مالك بن ربيعة بن عامر بن ربيعة بن حجر بن سلام بن مالك بن ربيعة بن ربيعة بن عنز بن وائل^(١)، فسوف يكون بينه وبين عنز أحد عشر جدًا، وإذا كانت سلسلة النسب صحيحة، ولم يحصل أي سقط في الأجداد فإن عصر عنز بن وائل يكون قبل أكثر من ثلاثمئة سنة قبل الهجرة تقريباً . ويقابله نسب الصحابي قيس بن سلمة الجعفي، وهو قيس بن سلمة بن شراحيل بن شيطان^(٢) بن الحارث بن الأصهب بن كعب بن الحارث بن سعد ابن عمرو بن ذهل بن مران بن جعفي ابن سعد العشيرة بن مذحج^(٣) .

٣- قبيلة رفيدة (فروعها وبلادها):

أ- تمهيد: رفيدة في اللغة من (رغد) والرغد: العطاء والصلة . والرغد: المصدر . رَغْدَهُ يَرْغِدُهُ رَغْدًا: أعطاه . ورَغْدَهُ وأَرْغَدَهُ: أعانه . وترافدوا: أعان بعضهم بعضاً . والمرغد والمرغد: المعونة^(٤) . وعلى ذلك فإن اسم (رفيدة) يعني التعاون والعطاء المؤدي إلى التناصر والتلاحم . والفروع الأساسية لقبيلة عنز بن وائل: رفيدة، وأراشة، وعسير، وتقرعت هذه الفروع الثلاثة إلى فروع أخرى، وهي في بعض كتب الأنساب كما يلي: هو عنز واسمه (عبد الله) بن وائل^(٥) . ووُلدَ عَنزٌ: رُفَيْدَةً، وَأَرَاشَةَ . فولد رفيدة بن عنز: عبد الله، وعامراً، وربيعة، ومعاوية، وعمراً، وحماراً . فولد عمرو بن رفيدة: شقيقاً، وسلمة، وتميماً، وعبد الله . ووُلدَ ربيعة بن رفيدة: مالكا . فولد مالك: جذيمة، وسلامان، وتولباً . فولد سلامان: حجراً . وولد عامر بن رفيدة: عبد الله، وإياساً، ووهباً . وولد أراشة بن عنز: قتاناً، وعسيراً^(٦) . وجندلة . فولد عسير بن أراشة: مالكا، وتيماً . فولد مالك: غنماً . وولد تيم: سلمة، وزهيراً، وعمراً^(٧) .

(١) جمهرة أنساب العرب، ابن حزم، ص ٣٠٣ . جمهرة النسب، ابن الكلبي، ص ٥٧٦ . الاستيعاب، ابن عبد البر، ج ٢، ص ٧٩٠ . الإصابة، ابن حجر، ترجمة رقم (٧٣٧٤) .

(٢) في الإصابة: (سعدان) ج ٢، ص ٢٤٠ .

(٣) نسب معد واليمن الكبير، ج ١، ص ٣٠٤ .

(٤) اللسان (رغد) .

(٥) نسب معد واليمن الكبير، ابن الكلبي، ج ١، ص ٩٤ . جمهرة أنساب العرب . ابن حزم، ص ٣٠٢ .

(٦) ورد (عشير) بالشين المعجمة في جمهرة النسب، لابن الكلبي، وهو بالسین المهملة في كتابه نسب معد واليمن الكبير .

(٧) جمهرة النسب، ابن الكلبي، ص ٥٧٥ . نسب معد واليمن الكبير، ابن الكلبي، ج ١، ص ٩٤ .

وقال الهمداني: " وأولد عَنَز بن وائل على ما خبرني بعض من يصالِيهم من جنب : رُفيدة وأراشَة، فأولد رُفيدة : ربيعة، ومعاوية، وعامرا، وعبد الله، وعمرا، وحمارا، فأولد ربيعة : مالكا، فولد مالك : جُرَيْمة، وتولبا، وسلامان . وولد عامر بن رُفيدة : عبد الله، ووهبا، وإياسا، وولد عمرو بن رُفيدة : سلمة، وشقيقا، وتميما، وعبد الله، وأولد أراشَة بن عَنَز : عسيرا، وقتانا، وجدلة، فولد عسير : مالكا، وتميما، فولد مالك : غنما، وحرمة، وجدلا، وتيما، فولد تيم بن مالك : زهيرا، وسلمة - وفيها بنو شيبَة - وعضاضة^(١) . وذكر الهمداني بعض الفروع، وهي: (أ) بنو عبد الله بن عامر (في عُنُقَة) . (ب) بنو أبي عاصم (في العيْبَا) . (ج) بنو أسد (في دلفان) . (د) بنو شيبَة (في القرعاء، والمسقي) . (هـ) حازمة (في الرُفِيد) (جارمة) . (و) بنو حديد (في الغوص) . (ز) بنو غنم (في الرَّاكس) . (ح) بنو مالك (في تَمْنِيَة) . (ط) بنو جابرة، من شيبَة . (ي) بنو النعمان^(٢) . وقد احتفظت الفروع المعاصرة لقبيلة عَنَز ببعض أسماء الفروع القديمة، ومنها : عسير، وأراشَة، ورُفيدة، وعُضاضة، وبنو جابرة، وبنو وهب، وبنو مالك .

وتعدّ الفروع الثلاثة الأساسية القديمة (عسير، وأراشَة، ورُفيدة) مُرتكزاً للتفريعات المعاصرة المرتبطة بالفروع القديمة نسبا وجغرافية، وهي كما يلي: (١) عسير : وفروعها المعاصرة : مُعَيْد، وعَلِكَم، وربيعَة ورُفيدة، وبنو مالك . (٢) أراشَة: وفروعها المعاصرة : بنو مالك (في الشعف وتهامة)، بنو جابرة (من شيبَة)، وآل سرحان، والقرعاء (من شيبَة)^(٣)، والمسقي (من شيبَة)^(٤) . (٣) رُفيدة : وفروعها المعاصرة : قبيلة آل الجَحَل، وقبيلة آل الشّواط، وقبيلة آل مُسْتَنير، وقبيلة جَارمة، و قبيلة بني قيس، وقبيلة خطاب، وقبيلة إلحاف، وقبيلة ذَعِي، وقبيلة وَقْشَة .

ب - قبائل رُفيدة وبلادها :

تقطن أغلب قبائل رُفيدة في النطاق الإداري لمحافظة أحد رُفيدة، وهي قبائل: (آل الجَحَل، وآل الشّواط، وجارمة^(٥))، وبنو قيس، وخطاب، وإلحاف، وذَعِي، وبعض آل مستنير). أما بقية القبائل فمواطنهم خارج النطاق الإداري لمحافظة أحد رُفيدة، وهم كما يلي : قبيلة وَقْشَة : في محافظة سراة عبيدة، إلى الجنوب من محافظة أحد رُفيدة. بعض قبيلة إلحاف : يقطنون في تَمْنِيَة وتهامتها ضمن نطاق مركز تَمْنِيَة التابع

(١) الإكليل، ج١، ص ٢٦٢ .

(٢) صفة جزيرة العرب، ص ٢٥٥ .

(٣) قال الهمداني: (القرعاء لشيبَة من عَنَز، ولهم قرية كبيرة ذات مسجد جامع يقال لها المسقي) ثم قال: (المسقي لشيبَة من عَنَز) وهذا يتوافق مع التحليل الجيني لفروع (أراشَة) التي تلتقي في التحوّر (14297 FGC) الذي يجمع فروع عَنَز بن وائل . (صفة جزيرة العرب، ص ٢٥٧) .

(٤) ومن جارمة في تهامة قرية (عراب آل هلال) .

(٥) ومن جارمة في تهامة قرية (عراب آل هلال) .

- مباشرة - للعاصمة الإدارية لمنطقة عسير مدينة أبها . قبيلة آل مستير : في مركز تندحة، التابع لمحافظة خميس مشيط، وبعضهم في محافظة أحد رفيدة . وفيما يلي تفصيل موقع كل قبيلة، وقراها :

(١): قبيلة آل الحجل :

تقع بلادها في الشمال الغربي من بلاد رفيدة (والمحافظة) وحدودها كما يلي :
الشمال : بلاد قبيلة آل سرحان . والجنوب : بلاد قبيلة الحاف . والشرق : بلاد قبيلة ذعي، وبلاد قبيلة آل رشيد شهران . والغرب : بلاد قبيلة آل سرحان، وبلاد قبيلة آل يزيد . وقراها الرئيسية هي : (١) آل بنحي . (٢) آل العزب . (٣) خاران . (٤) الذبية . (٥) الصفراء . (٦) المجره . (٧) المجمع . (٨) محجر آل الحجل . (٩) المحشوش . (١٠) ملحة . أما جبالها فهي : (١) دحان (وهو الحد مع قبيلة آل رشيد، شهران) . (٢) سفير . (٣) شت الأعلى . (٤) شت الأسفل . (٥) ظور معافا . وأوديتها : (١) الأجورة . (٢) الحويب . (٣) خاران . (٤) الذبية . (٥) الوجيهة .

(٢) قبيلة آل الشواط :

تقع بلادها في الشمال الشرقي من بلاد رفيدة (والمحافظة) . وحدودها كما يلي :
الشمال : محافظة خميس مشيط ، والجنوب : بلاد قبيلة وقشة ، والشرق : محافظة سراة عبيدة . والغرب : بلاد قبيلة بني قيس ، وقبيلة ذعي . والقرى : (١) آل جرو (من جارمة) . (٢) آل رميح : (هم من آل رميح من جارمة) . (٣) آل مشهور . (٤) آل هتلان (من جارمة) . (٥) الحبة . (٦) حزن منيع . (٧) الحضيرة . (٨) الحنواء . (٩) الخنق . (١٠) الشعين . (١١) صرايم . (١٢) الضرس (من جارمة) . (١٣) ظور الطحين . (١٤) العان . (١٥) العرق . (١٦) لزمة . (١٧) مخبا . (١٨) الهجلة . وجبالها الرئيسية : (١) الأوعال (لوعال) . (٢) بنو حمران (جبال) . (٣) جريب . (٤) الجماء (جبال) . (٥) الجمعا . (٦) الجوف (جبال) . (٧) الحرشا (٨) الخضرة (جبال) . (٩) سمنان . (١٠) الشاهقة (جبال) . (١١) شعب عجرود . (١٢) صعيب . (١٣) الظور . (١٤) ظور الطحين . (١٥) الظيران (جبال) . (١٦) العزيزة . (١٧) غريزان . (١٨) القشوع (جبال) . (١٩) قنة الخنق . (٢٠) المستظل . (٢١) المشط . (٢٢) نيس . (٢٣) هرمان . (٢٤) هرمة (٢٥) الواته . وأوديتها : (١) الأبيض (لبيض) . (٢) الجوف . (٣) الحذيان . (٤) حبار . (٥) الخنق . (٦) الرميرام . (٧) الشرمات . (٨) الشيق . (٩) صرايم السفلى . (١٠) صرايم العليا . (١١) الطلحة . (١٢) عنقة . (١٣) مخبا . (١٤) مدعج . (١٥) المديد . (١٦) المشقوق . (١٧) ملاح . (١٨) ملحة . (١٩) منع . (٢٠) نور . (٢١) نيام . (٢٢) الهجلة . (٢٣) وطاط .

٣- قبيلة آل مُسْتَنِير :

تنقسم هذه القبيلة إلى قسمين، أحدهما في شمال بلاد رُفيدة، والآخر في تندحة بمحافظة خميس مشيط، بجوار آل الزلال وآل حجاج. وقراها: (١) آل جبَعان وآل عَرَفَج (تندحة). (٢) آل حَمَد (تندحة). (٣) آل دُرَيْم (تندحة). (٤) آل دُوْدَم (تندحة). (٥) آل شَايع (تندحة). (٦) آل غَضَيْف (المديد) في بلاد آل رُشَيْد شهران. (٧) آل مَانِع (تندحة). (٨) آل مُتَعَب (تندحة). (٩) آل مُسْتَنِير (الثنية) تندحة. (١٠) آل جَاَزِع (تندحة). (١١) آل حَرْف (تندحة). (١٢) آل رُوغ (أحد رُفيدة). (١٣) آل مُسَيِّح (أحد رُفيدة). (١٤) الوطن (تندحة). وجبالها: (١) مانع، في تندحة. (٢) المعترض، في تندحة. ومن أوديتها: (١) بيثة. (٢) تندحة.

٤- قبيلة الحَاف :

تقع بلادها في الجنوب الغربي من بلاد رُفيدة (ومن المحافظة)، وتمتد في تهامة وحدودها كما يلي: الشمال: بلاد قبيلة آل الجَحَل. والجنوب: تهامة. والشرق: بلاد قبيلة جارمة. والغرب: مركز الشعف. ومن قراها الرئيسية: (١) آل بَحَاث. (٢) آل بَشْر. (٣) آل حُدَيْلَة. (٤) آل حَلَامِي. (٥) آل الدَّمَام. (٦) آل زَقُوم. (٧) آل السَّرَّ. (٨) آل سَرْحَانَ. (٩) آل الشَّاعِر. (١٠) آل عَامِر. (١١) آل عبد الله (بنو وهب). (١٢) آل عَلِي (تَمْنِيَة). (١٣) آل مَانِع (بنو وهب). (١٤) آل مَبَايع (آل حلامي). (١٥) آل أُسْدَة (آل حلامي). (١٦) آل بَطْحَاء. (١٧) آل بَطْحَاء (بنو مُلَيْك / تهامة). (١٨) آل جَاَزِع (بنو وهب). (١٩) آل حَبْلَة (بنو مُلَيْك). (٢٠) آل حَرْف (بنو مُلَيْك / تهامة). (٢١) آل حَبَارَة (بنو مُلَيْك / تهامة). (٢٢) آل دَبْدَبَة (بنو مُلَيْك / تهامة). (٢٣) آل رَجَم (آل جَلِيحَة / تهامة). (٢٤) آل رَيْدَة (آل جَلِيحَة / تهامة). (٢٥) آل سَّاقِط (بنو مُلَيْك / تهامة). (٢٦) آل سَلْعَة (بنو مُلَيْك / تهامة). (٢٧) آل الشُّط (بنو مُلَيْك / تهامة). (٢٨) آل الشَّلَة (آل جَلِيحَة). (٢٩) آل صَفْحَانَ (آل حلامي). (٣٠) آل الصَّمْحِيَة. (٣١) آل طَحَّالَة (بنو مُلَيْك / تهامة). (٣٢) آل طَوْر الشُّبَارِق (آل جَلِيحَة). (٣٣) آل عَرَضَاء (بنو مُلَيْك / تهامة). (٣٤) آل عَقَالَة. (٣٥) آل الغَاوِيَة (آل جَلِيحَة). (٣٦) آل الغَوْلَة (آل جَلِيحَة). (٣٧) آل الفَرَضَاء (بنو مُلَيْك / تهامة). (٣٨) آل قَاعَة (بنو مُلَيْك / تهامة). (٣٩) آل القَرْنَ (تَمْنِيَة). (٤٠) آل القَرِيَة (آل عَيَّ) (بنو وهب). (٤١) قرية الملك فيصل الخيرية (بنو مُلَيْك). (٤٢) آل القَعْمَة (آل لُوط). (٤٣) آل اللُّحَج (اللُّحَي). (٤٤) آل المُنَّاء. (٤٥) آل المَخْلُوطَة (بنو وهب). (٤٦) آل المَدَار (بنو مُلَيْك / تهامة). (٤٧) آل المَرَبَع (آل لُوط). (٤٨) آل المَرَّة (آل جَلِيحَة / تهامة). (٤٩) آل المَعْرَس (تَمْنِيَة). (٥٠) آل المَعْمَلَة (بنو مُلَيْك / تهامة). (٥١) آل مَكْدَاس (بنو مُلَيْك / تهامة). (٥٢) آل المَنَافِع. (٥٣) آل مُوْغِط (آل جَلِيحَة). (٥٤) آل المِيرَاد (آل جَلِيحَة). (٥٥) آل هَيْمَانَ (آل جَلِيحَة). (٥٦) آل الوَسْط

(بنو وهب) . (٥٧) يطا (بنو مئيك / تهامة) . ومن جبال هذه العشيرة: (١) الأحمر . (٢) الأصاد (لصاد) . (٣) الثافرة . (٤) الحمايط (جبال) . (٥) حارث (تهامة) . (٦) خلي وعلي . (٧) الرواكب . (٨) الرياح . (٩) الزبر . (١٠) السادة . (١١) السراط . (١٢) الصاقعة . (١٣) الصحن . (١٤) الصعيدة (الصعيدات) . (١٥) الصفاح . (١٦) صفحان . (١٧) الصفيح . (١٨) الطارف . (١٩) الظهر . (٢٠) عبثان . (٢١) العريض (٢٢) العقيرة (جبال) . (٢٣) العين (جبال) . (٢٤) عين أبي محمد (جبال) . (٢٥) عين الداخول . (٢٦) عين العريف . (٢٧) عين العنبة (جبال) . (٢٨) عين النضاف . (٢٩) اشية . (٣٠) الغرابات . (٣١) قربع . (٣٢) القمع . (٣٣) القهرة . (٣٤) الكرار . (٣٥) الكراع . (٣٦) اللجج (اللحي) . (٣٧) المربع . (٣٨) مرشد . (٣٩) المسكونة . (٤٠) مطرف . (٤١) - العين . (٤٢) مهلهل . (٤٣) يمامة . وأهم أوديتها: (١) الأصاد (لصاد) . (٢) بلعراص . (٣) الجو (تهامة) . (٤) الحويب . (٥) ذهب (تهامة) . (٦) ردوم (تهامة) . (٧) الصعيدة . (٨) العرضاء (تهامة) . (٩) العقيرة . (١٠) القرن (تهامة) . (١١) اللجج (اللحي) . (١٢) المخش . (١٣) المربع . (١٤) المسكونة . (١٥) الملاح . (١٦) موغط (تهامة) . (١٧) الواديين . (١٨) الوسط .

٥- قبيلة جارمة :

تقع بلادها في جنوب بلاد رفيدة (وجنوب المحافظة) في مناطق الشعاف المطلة على تهامة، وتمتد شمالاً إلى جنوب مدينة أحد رفيدة، كما تمتد بلادها في تهامة، ولهم قرى في بلاد قبيلة آل الشواط . وحدودها كما يلي: الشمال: بلاد قبيلة ذعبي، وبلاد قبيلة آل الشواط . والجنوب: تهامة . والشرق: بلاد قبيلة سراة عبيدة (جوف آل معمر والوهابة) . والغرب: بلاد قبيلة الحاف . وقرائها الرئيسية هي: (١) آل حميرير . (٢) آل دلهم (لجوان) . (٣) آل راقع . (٤) آل رميح (الفرعين) . (٥) آل سلمة (لجوان) . (٦) آل الشيخ . (٧) آل عريضة . (٨) آل غيلان (لجوان) . (٩) آل لغر . (١٠) آل نادر (الفرعين) . (١١) جارمة الجوف . (١٢) الجمعة . (١٣) الدرابين . (١٤) سر ذياب . (١٥) عراب (شعف جارمة) . (١٦) عراب آل هلال (تهامة، على وادي عتود) . (١٧) عنقرة . (١٨) القرحاء . (١٩) المضيق . (٢٠) النمصة (لجوان) . (٢١) وادي زيد (لجوان) . ومن جبالها: (١) الأشقر . (٢) الأعبيل (لعيل) . (٣) الأنصب (لنصب) . (٤) الرقيب . (٥) الرونة (جبال) . (٦) ساق غزال . (٧) الصوح (جبال) . (٨) عان سالم . (٩) العرايش (جبال / بين عنقرة والمربع) . (١٠) عروة . (١١) عنقرة (جبال) . (١٢) الغبر (جبال) . وأهم أوديتها: (١) بيشة . (٢) الجوف . (٣) عنقرة . (٤) المربع . (٥) نوم . (٦) واط .

٦- قبيلة خطاب :

تقع بلادها في الجنوب الشرقي من بلاد رُفَيْدَة، وتمتد في الفرعين شمالاً. وحدودها كما يلي: الشَّمَال: بلاد قبيلة جَارْمَة. والجنوب: بلاد قبيلة بني بَشْر، وبلاد قبيلة وَقْشَة. والشرق: بلاد قبيلة جَارْمَة، وقبيلة آل الشَّوَّاط. والغرب: بلاد قبيلة جَارْمَة. وقراها: (١) آل الدَّاحس. (٢) آل زُهَيْر. (٣) آل السَّوَاد. (٤) آل عَضْبَاء. (٥) آل عَمْرَة. ومن جبالها: (١) الشَّن. (٢) المَعْقَل. ومن أوديتها: (١) آل السَّوَاد. (٢) آل عَمْرَة. (٣) الشَّيْق. (٤) عَجْمَة آل الدَّاحس.

٧- قبيلة ذُعَي :

تقع بلادها في شمال بلاد رُفَيْدَة، وتتمركز في مدينة أحد رُفَيْدَة من الجهات الثلاث: الشَّمَال، والجنوب، والغرب. وحدودها كما يلي: الشَّمَال: بلاد قبيلة آل رُشَيْد (شهران). والجنوب: بلاد قبيلة جَارْمَة. والشرق: بلاد قبيلة بني قَيْس. والغرب: بلاد قبيلة آل الجَحَل. وأهم قراها: (١) آل بُوْعُوْه (عوف) (٢) آل شَبَشَب. (٣) آل عَدَا. (٤) آل عَنَقَة. (٥) آل قَرَوَاش. (٦) آل قَفَيْع. (٧) آل قَيْشَة (المعزَاب سابقاً). (٨) آل كَمَاه. (٩) آل لَجْهَر. (١٠) آل المَاشِي. (١١) آل مَحْرَب. (١٢) آل وَحْش. (١٣) بَنُو تَمِيم. (١٤) الثَّغْر. (١٥) الرُّوْغ. (١٦) سَحَامَة. (١٧) السُّوْق. (١٨) صَفْوَان. (١٩) عَرَق بَلْحِنَا. (٢٠) القَوَايَا. (٢١) المَحْوِي (الحوزة). (٢٢) المَرَاغَة. (٢٣) مُسِيْحَل. (٢٤) المَعْلَاة (الزُوَيْرَاء سابقاً) وهي التي يقال لها (الكامل). ومن جبالها: (١) أَبُو خَيْال. (٢) أَبُو عَوْشَة. (٣) أَبُو هَلَان. (٤) الأَغْبَر. (٥) أم جَالِح (مَجَالِح) (ثلاثة جبال). (٦) بُو مِيْبَار (نسبة إلى حيوان الوَبْر، لكثرتة في الجبل). (٧) شَكْر (شمال ضَمَك). (٨) الصَّوْح (جبال). (٩) ضَمَك. (١٠) ظُور المَرْوِي. (١١) القَعُود. (١٢) القَهْرَة. (١٣) قَهْرَة بني تَمِيم. (١٤) القَيْسَان (جَبَلَان). (١٥) مَشْبُ النَّار (توقد النار في أعلاه للاستصراخ بقيائل رُفَيْدَة). (١٦) المَنْقَطَعَة. (١٧) هَضْبَة أم الحَنْشَان. ومن أوديتها: (١) بَيْشَة. (٢) الدَّاخُول. (٣) الصَّفْق. (٤) المَخْش (القَرْيَة). (٥) المَقْطَع. (٦) المَنْجُور.

٨- قبيلة قَيْس (بنو قَيْس) :

تقع بلادها في شمال بلاد رُفَيْدَة، إلى الشرق من وادي بَيْشَة، وهي متصلة ببلاد قبيلة ذُعَي. وحدودها كما يلي: الشَّمَال: بلاد قبيلة آل مُسْتَنْبِر، وقبيلة آل الشَّوَّاط. والجنوب: بلاد قبيلة ذُعَي، وقبيلة خَطَاب. والشرق: بلاد قبيلة آل الشَّوَّاط. والغرب: بلاد قبيلة ذُعَي. وقراها: (١) - الحَظِيْرَة. (٢) دَرْب العَقِيْدَة (ابن العَقِيْدَة). (٣) الرِّبَة. (٤) القَابِل. (٥) مَدَاْحِن. ومن جبالها: (١) حَمُومَة. (٢) سَمْنَان. (٣) الصَّوْح (جبال). (٤) الكَرَّار. (٥) هَضْبَة شَفِيْع. ومن أهم ودينها وادي عُنَقَة.

٩: قبيلة وقشة :

تقع بلادها في الجنوب الشرقي من بلاد رفيدة، وتتبع في نطاق محافظة سراة عبيدة وحدودها كما يلي : الشمال : قبيلة آل معمّر (من عبيدة) ، وقبيلة آل الشواط . والجنوب : قبيلة بني بشر . والشرق : قبيلتا آل الصقر، وآل معمّر (من عبيدة) . والغرب : قبيلتا آل الشواط، وخطاب . وقراها : (١) آل بيحبيب . (٢) آل بلحي . (٣) آل خزيم . (٤) آل علوان . (٥) آل القصف . (٦) الجزعة . (٧) الحرقان . (٨) الخمرة . (٩) السرة . (١٠) العيص . (١١) القرن . (١٢) المصياد . ومن جبالها : (١) الحاجب . (٢) ظلم . (٣) الظاهر . (٤) القرن . ومن أوديتها : (١) آل بلحي . (٢) حارث . (٣) الحنجور . (٤) السر . (٥) السروي . (٦) الغرس . (٧) المنشر .

رابعاً: الحياة الدينية في بلاد رفيدة قبل الإسلام :

يرتبط الحديث عن الحياة الدينية في بلاد رفيدة بمدينة جرش، فهي حاضرة بلاد رفيدة، وقد كان أهل جرش قبل الإسلام من عبدة الأوثان، مثلهم في ذلك مثل الكثير من القبائل العربية حينذاك . وكان لهم الصنم المعروف باسم (يغوث) . (وهو من الغوث : الإغاثة . وغوث الرجل، واستغاث : صاح واغوثاه، والاسم : الغوث والغوث وأغوث . وأغاثه الله، وغاثه غوثاً وغياثاً، والأولى أعلى : أجاب الله غوثاه . ويغوث : صنم كان لمذحج) ^(١) . وجاء ذكر (يغوث) في قول الله تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَا نَدْرَأُ الْهَتَكُمُ وَلَا نَدْرَأُ وَذَا وَلَا سُوعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾ ^(٢) . وذهب كثير من المفسرين إلى أن صنم يغوث لمذحج . قال ابن كثير في تفسيره : " وهذه أسماء أصنامهم التي كانوا يعبدونها من دون الله قال البخاري : حدثنا إبراهيم حدثنا هشام عن ابن جريج، وقال عطاء عن ابن عباس: صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد : أمّا ود فكانت لكلب بدومة الجندل : وأمّا سُوع فكانت لهذيل، وأمّا يَغُوث فكانت لمراد ثم لبني غطيف بالجوف عند سبأ، أمّا يعوق فكانت لهمدان، وأمّا نسر فكانت لحمير لآل ذي كلاع" ^(٣) . وقال القرطبي : " وأمّا يغوث فكان لغطيف من مراد بالجوف من سبأ، في قول قتادة . وقال المهدي : لمراد ثم لغطيفان . الثعلبي : وأخذت أعلى وأنعم وأهل جرش من مذحج يغوث فذهبوا به إلى مراد فعبدوه زماناً" ^(٤) . وقال أبو السعود : " انتقلت هذه الأصنام عنهم" ^(٥) . إلى العرب فكان ود لكلب، وسوع لهمدان، ويغوث

(١) اللسان (غوث) .

(٢) سورة نوح، آية : ٢٣ .

(٣) تفسير القرآن العظيم، ج٤، ص٤٢٦ .

(٤) الجامع لأحكام القرآن، ج١٧، ص٣٠٩ . وبمثل قوله قال الشوكاني في فتح القدير، ج٥، ص٣٦٨ .

(٥) أي قوم نوح عليه السلام .

لمذحج، ويعوق لمراد، ونسر لحمير^(١). وجاء في كتاب: (الأصنام) لابن الكلبي قوله: (واتخذت مذحج وأهل جرش يغوث. وقال الشاعر:

وسار بنا يغوث إلى مُرادٍ فَنَاجَزْنَاهُمْ قَبْلَ الصَّبَاحِ^(٢).

وقال في موضع آخر، وهو يتحدث عن استجابة بعض القبائل لعمر بن لحي الخزاعي لعبادة الأصنام: "وأجابته مذحج. فدفع إلى أنعم بن عمرو المرادي يغوث. وكان بأكمة باليمن، يقال لها مذحج، تعبد مذحج ومن والأها"^(٣). وكان يغوث على صورة أسد^(٤). وكان أيضا من رصاص^(٥). وساق الدكتور مسفر بن سعد الخثمي خبرا قال فيه: "عثر إلى الشرق من مركز العرين أي إلى الشرق من جرش بحوالي (١٣٥) كيلا على تمثال من الحجر على صورة أسد ويسمى هذا التمثال محليا باسم ((حجر المرازة))، وقد قام أحد المواطنين قبل عدة سنوات بحمل التمثال من مكانه على أحد الجمال ثم باعه بعد ذلك إلى جهة غير معروفة في مدينة الرياض، وقد أدى هذا إلى نقل الأثر من موقعه وقطع صلته ببيئته الطبيعية التي وجد فيها. والباحث يتساءل هنا عما إذا كان لهذا التمثال علاقة بـ ((يغوث)) معبود أهل جرش، والذي كان على صورة أسد؟"^(٦). ويتفق هذا الخبر مع قول بعض المفسرين بأن الصنم على صورة أسد، ويختلف في كونه من الرصاص عند القرطبي، وفي هذا الخبر هو من حجر.

ويقف الدكتور جواد علي عند الصنم (يغوث) وقفة أنقلها على طولها مع حواشيها، فيقول: "وأما يغوث، فكان أيضا على رواية ابن الكلبي، في جملة الأصنام التي فرقها عمرو بن لحي علي من استجاب إلى دعوته من القبائل، دفعه إلى أنعم بن عمرو المرادي، فوضعه بأكمة مذحج باليمن، فعبده مذحج ومن والأها وأهل جرش"^(٧). وقد بقي في أنعم إلى أن قاتلتهم عليه بنو غطيف من مراد، فهربوا به إلى نجران، فأقروه عند بني النار من الضباب، من بني الحارث بن كعب واجتمعوا عليه جميعاً^(٨). وفي رواية أن

(١) تفسير أبي السعود، ج٥، ص٧٧٤. وقال بمثله فخر الدين الرازي في التفسير الكبير، ج٥، ص١٤٤. والزمخشري في الكشاف، ج٤، ص١٦٤.

(٢) ص١٠.

(٣) ص٥٧.

(٤) الكشاف، الزمخشري، ج٤، ص١٦٤. التفسير الكبير، فخر الدين الرازي، ج٥، ص١٤٣.

(٥) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج١٧، ص٣٠٩.

(٦) موسوعة الآثار والتراث في منطقة عسير، ج٦ (أحد رفيدة) ص٣١.

(٧) الأصنام (١٠، ٥٧)، اللسان (٤٨٠/٢) (غوث) تاج العرس (٣٢٧/١) (غوث). البلدان (٥١١/٨) (يغوث) الروض الأنف (٦٣/١) سبائك الذهب (١٠٤)، بلوغ الأرب (٢٠١/٢) القاموس (١٧١/١)،

روح المعاني (٧٧/٢٩ وما بعدها). تفسير البيضاوي (٢٣٩/١).

(٨) المحبر (٣١٧).

عبدة يغوث هم بنو غطيف من مراد^(١). وفي رواية أن يغوث بقي في أنعم وأعلى من مراد، إلى أن اجتمع أشراف مراد وتشاوروا بينهم في أمر الصنم، فقرر رأيهم أن يكون فيهم، لما فيهم من العدد والشرف. فبلغ ذلك من أمرهم في أعلى وأنعم، فحملوا يغوث وهربوا به حتى وضعوه في بني الحارث بن كعب، في وقت كان النزاع فيه قائماً بين مراد وبني الحارث بن كعب، فلما أتت بنو الحارث تسليم الصنم إلى مراد، وتسوية أمر الديات، أرسلت عليها مراد جيشاً فاستجدت بنو الحارث بهمدان، فنشبت بينهما معركة عرفت بيوم الرزم، انهزمت فيها مراد ومنيت بخسارة كبيرة قبيحة، وبقي الصنم في بني الحارث. وقد وافق يوم الرزم يوم بدر^(٢).

وذكر (الطبرسي) أن بطنين من طيء أخذوا يغوث، فذهبا به إلى مراد، فعبدوه زماناً، ثم أن بني ناجية أرادوا أن ينزعوه منهم، ففروا به إلى بني الحارث بن كعب^(٣). ويظهر من غرابة هذه الروايات أن الصنم يغوث كان في جرش أو على مرتفع قريب من هذه المدينة. أما سدنته، فكانوا من بني أنعم بن أعلى من طيء، وكانوا في جرش. وفي حوالي سنة (٦٢٣م)، أي السنة التي وقعت فيها معركة بدر، حدث نزاع على الصنم: أراد بنو مراد أن يكون الصنم فيهم وسدنته لهم، وأراد بنو أنعم الاحتفاظ بحقهم فيه. فهرب بنو أنعم بصنمهم إلى بني الحارث، واحتفظوا به بعد أن وقعت الهزيمة في مراد^(٤). وفي الحرب التي وقعت بين (بني أنعم) و (غطيف) حمل عبدة (يغوث) صنمهم معهم وحاربوا، مستمدين منه العون والمدد. وفي ذلك يقول الشاعر:

وسار بنا يغوث إلى مراد فناجزناهم قبل الصباح^(٥).

ويظهر أن (بني أنعم)، وسائر عبدة هذا الصنم، كانوا يحملون صنمهم معهم في غالب الأحوال عند قتالهم القبائل الأخرى^(٦). ولا يستبعد أن تكون لاسم هذا الصنم علاقة بفكرة المتعبدين له عنه، بمعنى أن المتعبدين له كانوا يرون أن يغيثهم ويساعدهم. وقد ظن بعض الباحثين أنه يمثل الإله الأسد. وأنه كان (طوطم) قبيلة مذحج، يدافع عنها ويدب عن القبيلة التي تستغيث

(١) الطبرسي (٣٦٤/٥)، الكشف (١٤٣/٤)، تفسير أبي السعود (١٩٨/٥)، تفسير الخازن (٣١٤)، تفسير ابن كثير (٤٢٦/٤).

(٢) البلدان (٥١١/٨)، (يغوث).

Reste,s.21,A.Fischer,Der Gotze Jaguth,in ZDMG.,BD.,58,s.8 , Leipzig,1904.

(٣) الطبرسي (٣٦٤ / ٥) .

(4) Reste,s.21,A.Fischer,Der Gotze Jaguth, in ZDMG., BD., 58,s. Leipzig, 1904 .869

(٥) البلدان (٥١١ / ٨) .

(6) Reste, S. 20, Das Botzenbuch, S. 83.

به، على نحو ما فعله الإسرائيليون من استغاثتهم بـ (حياة النحاس) المسماة (نحشتان) Nehushtan^(١)، التي كانت (طوطماً) في الأصل على رأي (سمث)^(٢). ونجد بين أسماء الجاهليين عدداً من الرجال سمّوا بـ (عبد يغوث)، منهم من كان في مذحج، ومنهم من كان في قريش، ومنهم من كان في هوازن.

وقد كان قائد بني الحارث بن كعب على تميم في معركة (الكلاب) عبد يغوث، كما كان لدرديد بن الصمة أخ اسمه (عبد يغوث). ومن مذحج: (عبد يغوث)، ابن وقاص بن صلاء الحارثي، الذي قتلته (التيمة) يوم الكلاب الثاني^(٣). ومن بني زهرة: عبد يغوث بن وهب، وعبيد يغوث، وأمهما صفية بنت هشام بن عبد مناف^(٤). ويبدل ذلك على أن عبادته كانت معروفة بين مذحج وأهل جرش وقريش وهوازن، وقبائل أخرى مثل تغلب^(٥). ولم يرد اسم هذا الصنم في الكتابات^(٦). وقد ذهب (روبرتسن سمث) إلى أنه (يعوش) Ye.ush المذكور في سفر التكوين، وهو أحد أجداد أدوم^(٧). ويمثله الأسد^(٨) في نظر (روبرتسن سمث)^(٩).

قلت: يتضح من جميع ما سبق أن الصنم يُغوث كان في جرش أو قريباً منها، وأما كثرة ورود اسم القبيلة مذحج في الكثير من النصوص السابقة فمرّد ذلك إلى أن أهل جرش، وهم من قبيلة عنز بن وائل، ومنها رُفيدة، تعود أصولهم إلى مذحج، فالتحور الجيني (FGC14297) يجمع فروع قبيلة عنز ابن وائل (عسير، أراشة، رُفيدة) وهذا التحور فرع سبئي مذحجي^(١٠). وقد نتساءل عن وجود النصرانية واليهودية في مدينة جرش؟ ونجد ما يفيد وجودهما عند البلاذري، وياقوت الحموي، وابن حبيب، في نصّ يتحدث عن إسلام أهل تبالة وجرش، وجاء فيه: "وجعل على كل حالم ممن بهما من أهل الكتاب ديناراً"^(١١). وذهب غرمان بن عبد الله آل غصاب إلى وجود ذلك

(١) الملوك الثاني، الإصحاح الثامن عشر الآية ٤.

(2) Das Gotzenbuch, S,82, smith, The Religion of the sites, London, 1927, P.277, Journal of Philo.,IX, 99

(٣) المحبر (٢٥١)، عبد يغوث بن الحارث بن وقاص، قتل يوم الكلاب وكان على مذحج يومئذ، الاشتقاق (٢٣٩).
(٤) الاشتقاق (٩٥).

(5) Ency . Religi, I,P. 663.

(6) Ency . Religi, I,P. 663.

(٧) التكوين، الإصحاح ٣٦، الآية ٥، ١٤، ١٨، وأخبار اليوم الأول، الإصحاح الأول، الآية ٢٥.

(8) Robertson, P. 226 .

(٩) المفصل في تاريخ العرب، جواد علي، ج ٦، ص ٢٦٠.

(١٠) فتوح البلدان، ص ٧٠، معجم البلدان (تبالة). المحبر، ص ٢١٦.

في جَرَش، وساق أدلته هناك^(١). وكان في بلاد قبيلة (وقشة) صنم يُقال له (فَرَّاس) كسره الصحابي ذباب بن الحارث، رضي الله عنه، وهو من سعد العشيرة من مَدْحَج، ثم وفد على سول الله ﷺ^(٢).

خامساً: الحياة السياسية في بلاد رُفيدة:

١- صفحات من تاريخ بلاد رُفيدة السياسي منذ العصر الجاهلي إلى العصر الحديث :

تقع بلاد رُفيدة في نطاق سِراة عَنز بن وائل، وتقع هذه السِراة في نطاق السِراوات الممتدة من حاضرة صنعاء حتى الطائف، وقد رسم الهمداني أقسامها، فبلغت عنده (١٨) سِراة، ومن ضمن هذه السِراوات من الجنوب إلى الشمال: سِراة جَنب. وسِراة عَنز بن وائل. وسِراة الحَجَر^(٣). ويُعدُّ الهمداني - فيما أعلم - صاحب السبق في تحديد أجزاء السِراوات وسكانها من عدن إلى الطائف. أما السِراوات من الطائف إلى عسير، فقد ذكرها حمد الجاسر، في ضوء كلام الهمداني، مع بعض التحديد المعاصر لهذه السِراوات^(٤).

وكتب الدكتور غيثان بن علي بن جريس صورة أشمل وأوضح عن السِراوات التي ذكرها الهمداني، ثم الجاسر، ولا سيما في العصر الحاضر^(٥). ولهذا التقسيم دلالة السيادة القبلية، إذ تحمل كل سِراة - في الغالب - اسم القبيلة التي تقطنها، ولا زالت هذه القبائل - في الغالب - في مواضعها حسب كل سِراة حتى الآن، ومنها قبيلة رُفيدة، وهي أحد فروع قبيلة عَنز بن وائل الثلاثة (عسير، أراشة، رُفيدة). وتقع بلاد رُفيدة في الجنوب الشرقي من سِراة عَنز، وتُعدُّ رُفيدة وأراشة - في عمود النسب - المستوى الأول، فرفيدة في جَرَش وما حولها، ثم تمددت أراشة إلى الغرب فالشمال، من تَمَنِيَة إلى آل سرحان، ثم بعد ذلك بلاد عسير ابن أراشة حتى أقاصي بلاد عسير على الحدود مع قبيلة بلحمر، التي تمثل بداية سِراة الحَجَر. وما يجدر التنبيه عليه هنا، هو صرف النظر عن الحديث في الأمم القديمة^(٦). التي قيل بسُكُنَها في سِراوات الحجاز، إذ لا علاقة لها - حسب علمي - ببلاد رُفيدة.

(١) مخلاف جَرَش، ص ٤٨.

(٢) بُنُو وقشة (نسباً ومكاناً)، أحمد بن علي مطوان، ص ٨، ومصادره هناك.

(٣) صفة جزيرة العرب، ص ٩٩.

(٤) في سِراة غامد وزهران، ص ٣٥٦.

(٥) دراسات في تاريخ تهامة والسِراة، ج ١، ص ١٣٧.

(٦) وهي: ثمود، والأنباط، والعماليق، وثابر، وعبد ضخم.

أ. العصر الجاهلي :

كان لجميع القبائل التي تقطن السروات (من حدود اليمن المعاصر إلى الطائف) في العصر الجاهلي الاستقلالية المطلقة على أرضها، وكأنها إمارة قائمة بذاتها فكل قبيلة تدير شؤونها بنفسها، وتضطلع بحل مشكلاتها عن طريق زعماء القبيلة أو حكامها، ولا تخضع لأي تنظيم سياسي. وربما تفرّعت القبيلة إلى عدة فروع، ولكل فرع سيادة على أرضه، بل يصل الأمر إلى استقلال كل قرية منفردة. ويؤكد هذا الوضع التراث الأدبي، من النثر، كالقصص، أو من الشعر، حيث تظهر فيه قصص الصراعات والولاءات القبلية. ولا تخرج قبيلة رُفَيْدَة - ممثلة في مدينة جُرَش وما حولها - عن هذا الوضع القبلي الذي يمثل السياسة في نطاقها القبلي، وبما في ذلك من أعراف وتقاليد تتشابه مع سواها عند القبائل العربية الأخرى، فالقبيلة هي الوحدة السياسية والاجتماعية والاقتصادية. ولوقيل بأن جُرَش كمدينة تجمع بعض العناصر القبلية الأخرى، أو يوجد فيها بعض العناصر التي تعمل في الصناعة ونحو ذلك، باعتبارها من مدن القوافل، وهذا يجعلها في منأى عن السيادة القبلية المطلقة، ولهذا الاعتراض وجهته إلى حد ما؛ إلا أنه من المعلوم أن مكة كمدينة أكبر وأعظم من جُرَش، وكانت السيادة فيها في العصر الجاهلي لقبيلة قريش، مع وجود عناصر قبلية أخرى، سواء من القبائل التي كانت لها السيادة قبل قريش، أو من عناصر أخرى طارئة عن طريق الحلف، أو الولاء أو العبودية ونحو ذلك.

ومما يتعلق بالعصر الجاهلي الوجود الحميري في جُرَش، وهو ما سأحدث عنه في صفحات تالية بعنوان **(الوجود الحميري في جُرَش)**. إلا أن أهم حدث يدل على الحياة السياسية في بلاد رُفَيْدَة، في جرش ومحيطها، هو ما عُرف في كتب التاريخ والسّير بالوفود، وأعني بذلك وفود القبائل العربية إلى المدينة المنورة، لتعلن إسلامها بين يدي الرسول ﷺ، وتعطيه الطاعة والولاء، إذ يدل مجيء هذه الوفود القبلية على الحالة السياسية في العصر الجاهلي وبداية العصر النبوي، فيمثل القبيلة زعيمها وبعض مُرافقيه، وقد يكون الوفد تحت رئاسة أحد أعلام تلك القبيلة، وهذا يدل على وجود وحدات سياسية قبلية، ولا تمثل ممالك أو كيانات سياسية.

ب - العصر النبوي :

بدأ الرسول ﷺ بتكوين دولة ذات تنظيمات خاصة منبعثة من أهداف الإسلام ومن الظروف التي كانت تحيط بالرسول ﷺ، وكانت هذه الدولة في بداية الأمر مقصورة على المدينة، ثم امتد سلطانها تدريجياً إلى المناطق المجاورة إلى أن شملت مكة، ثم كافة بلاد الحجاز ومعظم أقاليم الجزيرة، ومن المعلوم أن توسع الدولة الإسلامية

في هذه البلاد كان يرافق انتشار الإسلام، وعن طريق اتفاقيات وعهود مع القبائل ورؤسائها أقروا بموجبها الانضمام إلى دولة الإسلام، ويتبين من دراسة هذه الاتفاقيات أن الرسول اهتم بالدرجة الأولى بنشر الإسلام وسلطان دولته، ولذلك لم يهتم كثيراً بفرض تنظيمات إدارية معقدة أو بفرض سلطة سياسية قوية تؤدي إلى تبديل أساسي في الأحوال القائمة، لذلك كانت القبائل والعشائر والقرى كل منها تكون دولة قائمة بذاتها غير خاضعة لسلطة عليا خارجية شاملة، وقد راعى الرسول ﷺ هذه الأوضاع عندما ضم هذه البلاد إلى حظيرة الإسلام فلم يفرض عليها مطالب كثيرة أو ثقيلة ولم يطلب منها أن تجري تغييرات أساسية في تنظيماتها الإدارية وأبقى، فيما يظهر، العشائر وأقر معظم رؤسائها القدماء، واكتفى بإرسال المعلمين والجبابة، وأبقى لمكة والطائف كيانهما، وعين لكل منهما أميراً، فعين على مكة عتاب بن أسيد الأموي، وعلى الطائف عثمان بن أبي العاص^(١). وتحفل كتب التاريخ والسيرة بمكاتبات الرسول ﷺ إلى الملوك، وزعماء القبائل، إضافة إلى ما جاء من أخبار وفود القبائل العربية إلى المدينة المنورة، ومنها وفد (جرش) الذي يمثل بلاد ربيعة، وكتب الرسول ﷺ كتاباً لأهل جرش، وهذا نصه: (بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب من محمد النبي ﷺ لأهل جرش: إن لهم حماهم الذي أسلموا عليه، فمن رعاه بغير بساط أهله فماله سحت، وإن زهير بن الحماطة فإن ابنه الذي كان في خثعم؛ فأمسكوه فإنه عليهم ضامن، وشهد عمر بن الخطاب ومعاوية بن أبي سفيان: وكتب)^(٢). وقوله ﷺ (فمن رعاه بغير بساط أهله) البساط: بمعنى الأرض الواسعة فالمعنى فمن رعى حمى أهل جرش، من دون أن يرضى في أرض أهله فماله سحت، فالضمير في أهله راجع إلى الموصول في (فمن رعاه) وتقييد قوله: (فمن رعاه) بقوله: (بغير بساط أهله) ضرب من التأكيد. وبعبارة أخرى: هي بمثابة أن يقال: من تجاوز عن حده ولم يستفد مما يجوز له فماله هدر، أي لا ضمان على من أهلكه. وقوله ﷺ: ((فماله سحت)) أي لا شيء على من أهلكه. وقوله ﷺ: ((وإن زهير بن الحماطة)) فالاستفاد منه أن ابن زهير ارتكب في خثعم أمراً أوجب الضمان، فضمنه زهير عليهم، فأمر ﷺ بإمسك زهير أخذاً بضمانه لجريرة ابنه، ولا بد من تقدير الضمير قبل الذي، والجملة خبر لأن الأولي، أي أن زهيراً فإن ابنه هو الذي كان في خثعم، فكأنه أراد تعيين مرتكب الجريرة، ثم بين الحكم بقوله ﷺ: (فأمسكوه) أي زهيراً، وقوله ﷺ: (فإنه عليهم ضامن) تعليل للحكم^(٣). وكتب ﷺ لأهل جرش كتاباً بشأن خلط الزبيب والتمر؛ فعن ابن عباس، أن رسول الله ﷺ كتب إلى أهل جرش، ينهاهم أن يخلطوا

(١) الحجاز في صدر الإسلام، صالح العلي، ص ٢٨٠.

(٢) اللسان (سحت). مكاتيب الرسول ﷺ، علي بن حسين علي الأحمدى، ج ٢، ص ٣٦٨. مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، محمد حميد الله، ص ٢٨٩.

(٣) مكاتيب الرسول ﷺ، علي الأحمدى، ج ٢، ص ٣٦٨.

الزبيب والتمر^(١). ولم يروه بنصه أي نص الكتاب. ومن ولاية جرش بعد فتحها في السنة العاشرة للهجرة صُرد بن عبد الله الأزدي^(٢). وقيل ولي على جرش وبحرها سعيد بن القشْب الأزدي (حليف بني عبد مناف)^(٣).

ج - عصر الخلافة الراشدة (١١ - ٤١ هـ / ٦٣١-٦٦١ م).

يُعدُّ عصر الخلافة الراشدة امتداداً للعصر النبوي، فقد لحق النبي ﷺ بالرفيق الأعلى، وأصبحت مناطق السروات. ومن ضمنها بلاد ربيعة. بلاداً إسلامية، فقد كانت جرش تحت ولاية صُرد بن عبد الله الأزدي^(٤). وقيل: ولي عليها للنبي ﷺ سعيد بن القشْب الأزدي (حليف بني عبد مناف)^(٥). وفي عهد أبي بكر رضي الله عنه بعث عبد الله بن ثور (أحد بني الغوث) عاملاً له على جرش^(٦). وتضمنت المصادر - حسب علمي - عن ولاية جرش طيلة عهود بقية الخلفاء الراشدين (عمر، وعثمان، وعلي) رضي الله عنهم، وهونفس الحال لبقية مناطق السروات، فقد تم التركيز على ولايات: مكة والطائف، والمدينة، ونجران، واليمن، وحضرموت. إلا أن مناطق السروات كانت تابعة لولاية مكة. ولعل من أسباب هذا الصمت ما يلي: (١) عزلة هذه المناطق جغرافياً، مما أدى إلى إدارة القبائل لشؤونها ضمن حدود كل قبيلة. (٢) إنشغال الدولة الإسلامية المركزية بالأحداث العظام، مثل: الردة، والفتوحات الإسلامية، التي استأثرت بجهود الدولة. (٣) أحداث ألفت في عهد عثمان وعلي رضي الله عنهما، وذهاب علي إلى الكوفة، مما أحدث فراغاً إدارياً في هذه المناطق المنعزلة، التي لا تمثل دوراً محورياً في الفتنة التي جرت أحداثها في مناطق بعيدة عنها.

د - عصر الدولة الأموية (٤٢ - ١٣٢ هـ):

لا تختلف ولاية البلدان في العصر الأموي عن عصر الخلافة الراشدة، إذ نجد أن بلدان السروات الواقعة بعد الطائف حتى منطقة عسير تابعة لولاية مكة أو الطائف، وهو ما تدل عليه الكثير من كتب التاريخ^(٧). إلا أننا لا نجد تفصيلات بشكل

(١) صحيح مسلم، الحديث رقم (١٩٩٠) المسند، أحمد بن حنبل، ج١، ص٢٢٤.

(٢) الإصابة، ابن حجر، ج٢، ص٤٢١. الطبقات، ابن سعد، ج٥، ص٥٢٧.

(٣) الإصابة، ج٢، ص١١٥. تاريخ خليفة بن خياط، ص٩٧.

(٤) الإصابة، ابن حجر، ج٢، ص٤٢١. الطبقات، ابن سعد، ج٥، ص٥٢٧.

(٥) الإصابة، ج٢، ص١١٥. تاريخ خليفة بن خياط، ص٩٧.

(٦) تاريخ الطبري، ج٢، ص٤٢٧.

(٧) شفاء الغرام، الفاسي، ج٢، ص١٦٦، ص١٧٤. تاريخ الطبري، ج٥، ص٢٩٦. ج٦، ص١٩٢، ص٢٠٢، ص٦٢٠، ص٢٢٦. جمهرة أنساب العرب، ابن حزم، ص١٧٤، ص٢٤٦، ص٢٦٨، ص٤٨١. البداية والنهاية، ج٩، ص٢٠٧. بلاد السراة في العصر الأموي، د. غيثان بن جريس، ص١٠٠ وما بعدها.

مباشر عن ولاية (جُرش) في هذا العصر، فالمعلومات شحيحة إلى أقصى حدّ . ومما نستدل به على كَوْن جُرش ولاية أموية هو تولية محمود بن لبيد على جُرش، حيث ولاه عليها يحيى بن الحكم، والي مكة^(١) . وقد نستأنس ببعض الأحداث التي لا تتعلق بجُرش بشكل مباشر، ومنها ولاية الحجاج بن يوسف الثقفي على تَبالة، ولم يباشر أعمالها، حيث استصغر شأنها فانصرف عنها^(٢)، وبما أنّ تباله أصغر من جُرش فلا بُدّ أنه كان لجُرش والياً، وهذا من قبيل المقارنة والمقاربة فحسب .

ومن ذلك ما جاء في خبر العُجَيْر السلولي في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان، فعلى أثر اتصاله بالخليفة استحدث بنو أمية الضياع والمزارع في قرية المعمل في بيشة، وجلبوا لها العبيد^(٣) . وهذا يدل على وجود ولاية في بيشة، وقد يُفيد هذا وجود ولاية في جُرش . وفي سنة (٧٣هـ/٦٩٢م) تولى الحجاج بن يوسف الثقفي على (مكة واليمن واليمامة) جميعاً^(٤)، ولا ريب أن جُرش ضمن هذه الولاية، فهي تتبع مكة، ومما يدل على تبعيتها لمكة - في العصر الأموي - ما جاء في قصة الشاعر جعفر بن علبه الحارثي، فبعد يوم (سَحَبِل) أخذ جعفر وثلاثة من بني الحارث من نجران إلى مكة، فحبسوا بها، ثم قتلوا سنة (١٢٠هـ/٧٣٧م) عدا واحد منهم فر من السجن^(٥)، وهذا يدل على تبعية نجران لولاية مكة، وبما أن جُرش دونها إلى جهة مكة، فمن المعقول أن تكون تابعة لولاية مكة.

ويظهر اسم (جُرش) في أواخر العصر الأموي، وذلك في ثورة عبد الله بن يحيى الكندي، الملقب بطالب الحق، وبلقب الأعور في حضرموت، وكانت بداية الثورة في سنة (١٢٨هـ/٧٤٥م)، وانتهت بمقتله سنة (١٣٠هـ/٧٤٧م) في جُرش، على يد ابن عطية السعدي، قائد الجيش الأموي . وقد ذكرت جُرش وتباله ضمن أحداث ثورة طالب الحق في تاريخ خليفة بن خياط، كما ذكرت جُرش عند المسعودي، وغاب ذكرهما عند الطبري^(٦) . وعلى الإجمال فإن جُرش كانت ذات ولاية تابعة لولاية مكة، كغيرها من بلدان السروات الواقعة إلى الجنوب من الطائف، إلا أنّ أهميتها لا ترقى إلى كونها ولاية عظيمة لها خطرهما، وإنما تعود قوتها إلى الانتماء القبلي والسيادة لقبيلة عنز

(١) الطبقات، ابن سعد، ج٤، ص ١١٠ .

(٢) الأغاني، ج١٣، ص ٥٨ . معجم البلدان (تباله) .

(٣) معجم البلدان (تباله) .

(٤) تاريخ الطبري، ج٦، ص ١٩٤ .

(٥) الأغاني، ج١٣، ص ٥٠ . القول المكتوب، غيثان بن جريس، ج١٠، ص ٤٠ . شعر قبيلة مذحج، محمد آل مبارك، ج٣، ص ١٢٠٩ .

(٦) تاريخ الطبري، ج٧، ص ٣٤٨ . تاريخ خليفة بن خياط، ص ٢٩٤ . مروج الذهب، المسعودي، ج٢، ص ٢٥٨ . في سيرة غامد وزهران، الجاسر، ص ٢٠٨ . دراسات في تاريخ تهامة والسراة، غيثان بن جريس، ج٢، ص ٤٤٠ .

ابن وائل في محيط بلاد الفروع المنتمية إلى عَنَز، وضمن سراتها، وليس أبعد من ذلك. ولعل من أسباب تدني الأهمية السياسية لمدينة جَرَش ومحيطها ما يلي: (أ) البعد الجغرافي لمركز الخلافة في دمشق. (ب) أحداث الثورات في مكة، والعراق، والشام. (ج) الفتوحات الإسلامية التي استأثرت بجهود الدولة الأموية.

هـ- عصر الدولة العباسية (١٣٢ - ٦٥٦ هـ / ٧٤٩-١٢٥٨ م) :

بعد انتقال الخلافة الإسلامية إلى دمشق أيام الأمويين، ثم انتقالها إلى بغداد أيام العباسيين، صار اهتمام الخليفة سواء في دمشق أو بغداد، أن يولي أمراء من قبله على المدن الكبرى في شبه الجزيرة العربية، كمكة المكرمة، أو المدينة، وربما جمعت المدينتان تحت إمرة وال واحد، وأحيانا تجمع اليمامة والحجاز واليمن تحت إمرة وال من ولاية الخليفة تكون إقامته في مكة المكرمة أو المدينة المنورة، يشرف على الحياة ومراقبة السوق، وحماية البضائع من السرقة، وما عدا ذلك من الأعمال المتعلقة بشؤون جرش ومخلافها تترك لزعماء القبائل الذين يعدون المسؤولين - عرفياً - عن إدارة البلاد وتنظيم أمورها. ومنذ بداية القرن الثالث الهجري، بدأ الضعف يدب في جسم الخلافة العباسية، وبخاصة بعد الحرب الأهلية التي وقعت بين الأخوين الأمين والمأمون منذ عام (١٩٣ - ١٩٨ هـ / ٨٠٨-٨١٣ م) الأمر الذي أدى إلى ظهور الخارجين والثائرين على الخلافة في أجزاء عديدة من البلاد^(١). ومن يقارن أوضاع عسير - ومنها جَرَش - الإدارية والسياسية في عهد الخلفاء الراشدين، بما حصل في عهدي خلفاء بني أمية وبني العباس، فإنه يجد أوضاعها في عهد الخلفاء الراشدين أفضل وأقوى لقربها من عاصمة الخلافة الإسلامية في المدينة، وكذلك قربها من عصر الرسول ﷺ. أما أحوالها في عصور بني أمية وبني العباس، فقد أصبحت جزءاً من ولاية الحجاز التي صارت مليئة بالفتن والثورات، ضد الخلفاء الأمويين والعباسيين، بل أصبحت عسير وعموم بلاد جنوب الجزيرة العربية ميداناً للثورات السياسية والمذهبية، كما صارت بيئة مناسبة للنزاعات والصراعات القبلية المتنوعة^(٢). وبناء على كلام الدكتور غيثان بن جريس الرائع، فإنه يمكن تأسيس الحياة السياسية في جَرَش - بلاد ريفية - على محورين، وهما: إدارة الدولة. وإدارة القبائل.

١ : إدارة الدولة :

حينما بويغ أبي العباس السفاح بالخلافة عام (١٣٢ هـ / ٧٤٩ م) أوكل إلى عمه داود بن علي بن عبد الله بن عباس سنة (١٣٣ هـ / ٧٥٠ م) إدارة الحجاز واليمن مكافأة له

(١) تاريخ مخلاف جَرَش، غيثان بن جريس، ضمن كتابه: (دراسات في تاريخ تهامة والسراة)، ج٢، ص ١٠٦.

(٢) دراسات في تاريخ تهامة والسراة، غيثان بن جريس، ج٢، ص ٢٨١.

على ما قام به من جهد أثناء قيام الدولة العباسية، وكان مقر إقامته في المدينة المنورة، ويمثل هذا الموقف موقف الحجاج أيام عبد الملك بن مروان^(١). ولا شك أن جرش ضمن ولايات الحجاز. وجرى بعد ذلك فصل اليمن عن ولايات الحجاز، وفي بعض الأحيان تجمع بعض الولايات لوال واحد، مثل: (أ) المدينة، ومكة، والطائف، واليمامة (لوال واحد). (ب) المدينة، ومكة، والطائف (لوال واحد). (ج) مكة، والطائف (لوال واحد).

وجرى - أيضاً - اختصاص كل مدينة بوال واحد، فللمدينة المنورة وال، وللمكة وال، وهكذا^(٢). وبما أن جرش من ولايات مكة، فستكون - ضمناً - من هذه الولايات، إلا أنه لم يُصرح باسمها. وفي سنة (١٨٤هـ/ ٨٠٠م) تمت تولية حماد البربري على مكة واليمن، وفي سنة (١٩٨هـ/ ٨١٣م) كانت ولاية الحسن بن سهل على اليمن والحجاز^(٣). ويتكرر عدم ذكر اسم جرش أيضاً. وفي قصة الشاعر ابن الدمينة الخثعمي (ت ما بين ١٨٠-١٨٣هـ) ما يُفيد وجود ولاية في بيشة أو تبالة، فقد ارتكب جريمة أوجب الاستعداد عليه إلى والي مكة أحمد بن إسماعيل من قبل الرشيد، فسجنه ثم خلاه^(٤)، وهذا يدل على تبعية بيشة وتبالة لولاية مكة، وجرش قريبة من هذين الموضعين إلى حد أرى معه أن لجرش ولاية تابعة لمكة أيضاً.

ومثل هذه المقارنة التي تتعلق ببيشة، وهي من ضمن أعمال مكة وأحد مخاليفها^(٥)، وجود دار لسك النقود في بيشة، وقد سُك فيها الدرهم العباسي في عهد الرشيد سنة ١٨٦هـ/ ٨٠٢م)، والدينار العباسي في عهد المطيع لله سنة (٢٣٧هـ/ ٩٤٨م)، وآخر سنة (٣٤٠هـ/ ٩٥١م)^(٦). ولا توجد دار السك إلا في ظل وال على بيشة يتبع مكة، فهل لجرش وال أيضاً؟ ربما؛ فقد ذكر الهمداني (ق ٤هـ/ ١٠م) وهو يتحدث عن محمد بن إبراهيم بن إسحاق العوسجي، وهو معاصر للهمداني، وكانت بين العوسجي وبين قبيلة عنز خلافات وصراعات، وكانت عنز قد استولت على مسجد للعوسجي، فأوجدته قبيلة سنحان واسترجعت له المسجد، وقبيلت (الموصلية) عاملاً لسلطان مكة^(٧). فهل كانت جرش ولاية بالفعل يديرها عامل لسلطان مكة، وتقبله قبيلة أخرى لا علاقة لها بالمكان،

(١) تاريخ اليمن، عبد الرحمن الشجاع، ص ١٢٣.

(٢) تاريخ الطبري، ج ٧، ص ٤٥٩، ٤٩٩، ٥١١، ٥١٤، ٥١٦، ٥٥١، ٦٤٩، ج ٨، ص ٤٣، ٢٠٤.

(٣) تاريخ الطبري، ج ٨، ص ٢٧٢، ٥٢٧.

(٤) ديوان ابن الدمينة، تحقيق: أحمد النفاخ، ص ٢٤.

(٥) معجم ما استعجم، البكري (بيشة). أخبار مكة، الفاكهي، ج ٥، ص ١٠٧.

(٦) التعدين وسك النقود، نايف الشرعان، ص ١٦٠.

(٧) الإكليل، ج ٢، ص ١٤٣، ١٤٦.

وهي قبيلة سنحان؟ ويحتمل هذا الخبر دلالة السيادة القبلية أكثر من دلالة الولاية للدولة العباسية .

ومما يتصل بإدارة الدولة ما يُسمى (المخاليف) ، وقد بسطت القول فيها في بحثي (المخاليف في معجم البلدان) ، وهذا يستدعي الاختصار هنا إلى أقصى حدّ ، فأقول : بدأ ذكر المخاليف بشكل واسع في القرنين الهجريين الثالث والرابع ، ومن أهم الجغرافيين والمؤرخين الذين وردت المخاليف في كتبهم : (١) اليعقوبي (ت ٢٩٢هـ) . (٢) ابن خردادبة (ت نحو ٣٠٠هـ) . (٣) ابن الفقيه (ت بعد ٢٨٩هـ) . (٤) ابن رسته (ت بعد ٢٩٠هـ) . (٥) الهمداني (ت بعد ٣٤٠هـ) . (٦) المقدسي البشاري (ت ٣٨٠هـ) . (٧) ابن حوقل (ق ٤هـ) . (٨) قدامة بن جعفر (ت ٣٢٠هـ) .

وهؤلاء - عدا الهمداني - على غير صلة مباشرة بمواضع هذه المخاليف ، ولم يكونوا من أهلها ، إلا ما كان من رحلات بعضهم إلى الحجاز ، وهذه الرحلات ضمن حدود زمانية ومكانية غير شاملة لكل ما ذكروا من المواضع .

وعلى العكس مما ورد عند اليعقوبي ومن معه - عدا الهمداني - نجد المؤرخين المعاصرين لهم (ق ٣/٤هـ) يذكرون أسماء البلدان دون إضافتها إلى مصطلح (مخلاف) ، وهم : (١) الواقدي (ت ٢٠٧هـ) في كتابه (المغازي) . (٢) ابن هشام (ت نحو ٢١٧هـ) في كتابه (سيرة النبي ﷺ) . (٣) ابن سعد (ت ٢٣٠هـ) في كتابه (الطبقات الكبرى) . (٤) خليفة بن خياط (ت ٢٤٠هـ) في كتابيه (تاريخ خليفة) و (الطبقات) . (٥) الطبري (ت ٣١٠هـ) في تاريخه .

فلماذا غاب مصطلح (المخلاف) عند هؤلاء (الواقدي ومن معه) وحضر عند اليعقوبي ومن معه) على الرغم من انتماء الفريقين إلى القرنين (٣/٤هـ) مع تميز فريق (الواقدي ومن معه) على الفريق الآخر بعدة أمور منها : (أ) يُعتَبَرُونَ في الغالب من العلماء الثقات . (ب) عباراتهم أوضح وأدقّ . (ج) أغلبهم على صلة مباشرة بالحجاز أو من ساكنيه . (د) لكتبهم منهجية واضحة المعالم ، مع الإسناد للنصوص . ويذهب (اليعقوبي ومن معه) ثم من جاء بعدهم ونقل عنهم ، إلى تقسيم المخاليف الحجازية ، فيقولون : مخاليف مكة النجدية ، ومخاليف مكة التهامية ؛ فالنجدية : (الطائف ، وقرن المنازل ، والعقيق ، وعكاظ ، وليّة ، وتربة ، وتبالة ، وبيشة ، وكنتة ، وجرش ، ونجران) وغيرها . والتهامية : (ضنكان ، والسرين ، وعشم ، وبيش) وغيرها .

ومن خلال القراءة الموسّعة في كتب : التاريخ ، والمعجم الجغرافية ، والطبقات ، والأدب ، لم أجد لمصطلح (مخلاف) سيّورة وحضوراً في الحجاز حتى حدود اليمن ، بل وجدت أن المفردات الدالة على التنظيمات والتجمعات السكانية مثل (مدينة) و

(قرية) و (عمل) و (ولاية) و (ناحية) و (أعراض) و (منبر) وغيرها أكثر حضوراً ورسوخاً. ولذلك فإن إضافة البلدان إلى مصطلح (مخلاف) في البلدان التابعة لمكة (مخاليف مكة النجدية والتهامية) لا يُمثل أصالة واضحة المعالم، فما ورد عنها عند الجغرافيين والمؤرخين لا يعدو عن مجرد سياقة أسماء البلدان مضافة إلى مصطلح (مخلاف)، حتى ياقوت؛ فهو لا يُطيل عند ذكره لأي مخلاف من مخاليف الطائف، بل اختفت بعض أسماء هذه المخاليف في أغلب المعاجم الجغرافية وغيرها. وهذا الوضع يختلف عن (المخاليف اليمنية) التي تمثل أصالة لغوية وتنظيمية - في حدود اليمن المعاصر - وهي مؤصلة عند الهمداني، وياقوت وإسماعيل الأكوخ، والحجري وغيرهم، من حيث تحديد المكان وذكر السكان، مع استمرار وجودها حتى الآن.

٢- إدارة القبائل:

تمثل القبيلة في بلاد السروات، ومنها سراة عَنز بن وائل بقاعدتها جُرش، ما يمكن تسميته (الوحدّة السياسية القبلية)، فلكل قبيلة مطلق الاستقلالية في أرضها، وتدير شؤونها بنفسها، وإن كان هناك سيادة عامة للدولة العباسية، فهي سيادة اسمية فحسب. بل يصل الأمر إلى استقلال كل فرع من فروع القبيلة ببلاده، أو كل قرية أو بلدة في محيطها الصغير، إذ نجد أن لكل قرية - في الغالب - تحصيناتها الدفاعية، مع تلاحم مبانيها السكنية. ومما يدل على هذا الوضع ما ذكره ابن الجاور (ق٧هـ / ١٣م)، حيث قال عن بلاد السروات: (وهم قبائل وفخوذ من العرب ليس يحكم عليهم سلطان بل مشائخ منهم، وفيهم بطون متفرقون)^(١). وقال: (ويحكم على كل قرية شيخ من مشائخها كبير القدر والسن، ذو عقل وفطنة، فإذا حكم بأمر لم يشاركه ولا يخالفه أحد فيما يشير عليهم ويحكم فيهم)^(٢). وقال: (وجميع هذه الأعمال قرى متقاربة بعضها من بعض في الكبر والصغر، وكل قرية منها مقيمة بأهلها، كل فخذ من فخوذ العرب، ويطن من بطون البدو في قرية، ومن جاورهم لا يشاركونهم في نزلها وسكنها أحد سواهم)^(٣).

وعن نفس البلاد يقول القلقشندي (ت ٨٢١هـ): وهي جبال شامخة، ذات عيون دافقة ومياه جارية، على قرى متصلة، الواحدة إلى جانب الأخرى؛ وليس لواحدة تعلق بالأخرى بل لكل واحدة أهل يرجع أمرهم إلى كبيرهم، لا يضمهم ملك ملك، ولا يجمعهم حكم سلطان؛ ولا تخلو قرية منها من أشجار وعروش ذوات فواكه أكثرها العنب واللوز؛ ولها زروع أكثرها الشعير؛ ولأهلها ماشية أعوزتها الزرائب، وضافت بها الحظائر. وأهلها أهل سلامة وخير وتمسك بالشريعة ووقوف معها، يعضون على دينهم بالنواجذ، ويقرون كل من

(١) تاريخ المستبصر، ج١، ص٢٦، ص٢٧، ص٢٨.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

يمر بهم، ويضيفونه مدة مقامه حتى يفارقهم. وإذا ذبحوا لضيفهم شاة، قدموا له جميع لحمها ورأسها وأكارعها وكبدها وقلبها وكرشها، فيأكل ويحمل معه ما يحمل. ولا يسافر أحد منهم من قرية إلى أخرى إلا برفيق يسترفقه منها فيخفره، لوقوع العداوة بينهم^(١).

ونعود بعد هذا الإجمال عن الحالة السياسية في بلاد السروات إلى تلمس بعض الأحداث التي تتعلق بجرش - بلاد رفيدة - بشكل مباشر، وتدُل على الوحدة السياسية القبليّة. ومن هذه الأحداث - في القرن الثاني الهجري - رحيل أحمد بن يزيد بن عمرو بن نابت القشيبى العوسجي من صعدة إلى جرش، ونزل في تدحّة، وكانت من أحواز جرش التي تسيطر عليها قبيلة عنز بن وائل، فوقع الحرب بينه وبين عنز، وانتصر عليهم، وسكن ومن معه في جرش، وأصبحت جرش مناصفة بينه وبين عنز، كما يقول الهمداني^(٢). وقد كان هذا الحدث في سنة (١٣٤هـ / ٧٥١م)^(٣)، أي في بداية العصر العباسي. وقد استمر هذا الوجود الحميري العوسجي المرتبط بالصراعات المستمرة، والتي انتهت بخروج العواسج من جرش في نهاية القرن الخامس الهجري^(٤). ونخرج من هذا الحدث بعدة نتائج، من أبرزها: (أ) وجود النظام القبلي الذي يمثل السيادة على الأرض، ممثلاً في قبيلة عنز، صاحبة مدينة جرش، وعدم ذكر أي ولاية عباسية عليها حينذاك، وربما كان عدم ذكرها كولاية أن الدولة العباسية كانت مشغولة بتأسيس الدولة، وتثبيت أركانها. (ب) تدل الصراعات القبليّة التي رافقت القدوم العوسجي واستمرارها، وظهور أسماء عدة قبائل منها (نهد، وزبيد، وجنب) إلى استحكام العصبية القبليّة، كما كانت في العصر الجاهلي. (ج) استمرار عداة القبائل المجاورة لقبيلة عنز بن وائل، فها هو محمد بن إبراهيم العوسجي يُحشد القبائل ضد عنز، وهو من أهل القرن الرابع الهجري، فيقول:

وكيف ترى عنز خضوعي وذلتي ونهد وجنب جيرتي وأقاربي^(٥)

(د) سكان جرش ومحيطها قبيلة رُفيدة، وهي أحد الفروع الثلاثة لعنز (عسير، أراشة، رفيدة). وهذا يدل على أن هذا الحدث يمثل الحالة السياسية لبلاد رفيدة حينذاك.

ونمضي مع حدث آخر يتعلق ببلاد رفيدة مباشرة، ففي سنة (٤٥١هـ) خرج القاسم ومحمد ابنا محمد بن جعفر بن القاسم العياني من بلاد صعدة، وهما يقصدان ترح بأعالي بيشة، فقد ذكر هذه الرحلة مفرح بن أحمد الربيعي في كتابه (سيرة الأميرين

(١) صبح الأعشى، ج٥، ص٣٨.

(٢) الإكليل، ج٢، ص١٣٩.

(٣) قصة الأدب في اليمن، أحمد محمد الشامي، ص٢٦٠.

(٤) في سراة غامد وزهران، حمد الجاسر، ص٤٩.

(٥) الإكليل، ج٢، ص١٤٤. تاريخ اليمن الفكري، أحمد الشامي، ج١، ص٢٨٥.

الجليين) وأشار إلى مرورهم ببلاد سنحان، وبلاد عبيدة من جنّب، حتى دخلوا بلاد عنز بن وائل، واستضافهم البذاخ، وهو رجل من جذيمة من عنز بن وائل. ثم قال الربيعي: استصحب لنا رجلاً رُفِيداً من عنز^(١). وهو يعني أن يكون هذا الرُفِيدِي مرافقاً لهم لحمايتهم حتى يخرجوا من نطاق أرض قبيلته، وهي كالخفارة في العصر الجاهلي. وهذا يدل على الوحدة السياسية القبلية في بلاد رُفيدة، التي تعد من أجزاء سراة عنز بن وائل، ولم يذكر الربيعي ولاية عباسية على جُرش.

وفي سنة (٥٣٥هـ/١١٤٠م) ذهب مشايخ من جنّب، وخنعم إلى الإمام أحمد بن سليمان في صعدة، وذكروا له رجلاً من عنز يقال له عرفطة بن الطحل وأنه قطع طريق الحاج، وسأله المخرج إليه لقتاله، فهم بالمخرج معهم إلى بلاد عنز، إلا أن خولان سأله التوقف لانشغالهم بالزرائع وغيرها، ولم يحصل الخروج^(٢). ويدل هذا الحدث على عدم وجود ولاية عباسية في بلاد عنز وقاعدتها جُرش، وأن قبيلة عنز تدير بلادها بنفسها كوحدة سياسية قبلية، ومثلها (سراة جنّب) المجاورة لها من الجنوب.

وفي سنة (٦١٤هـ/١٢١٧م) ذهب الإمام المعتضد بالله يحيى بن المحسن بن محفوظ إلى بلاد عنز وبلاد بني شريف، واستنصرهم على الأشراف بني حمزة في صعدة، فأعانوه بنحو ثلاثمئة فارس^(٣). وفي سنة (٦١٩هـ/١٢٢٢م) استنصر عز الدين محمد بن حاتم بن الحسين بعنز وبغيرها من القبائل^(٤). وفي هذين الحدثين دلالة على هيمنة النظام القبلي في بلاد عنز - ومنها رُفيدة - وعدم وجود ولاية عباسية. وفي نهاية القرن السادس الهجري حصلت الحرب بين نهد^(٥) وأحلافها من جنّب، وصداء، وبلحارث من جهة، وبين عنز وشهران من جهة، وذلك في موضع يقال له (الحزم)^(٦) وانتصرت عنز وشهران على نهد وأحلافها، وعلى أثر ذلك انتقل الكثير من فروع نهد إلى حضرموت، فقد بدأ ذكرهم في حضرموت في سنة (٥٨٩هـ/١١٩٣م)^(٧)، أو سنة (٥٩٢هـ/١١٩٥م)^(٨). وهذا يؤكد على الوحدة السياسية القبلية، إذ لا نجد أي ذكر لولاية سياسية في هذا الحدث، الذي اقتصر على ذكر القبائل المشاركة في الحرب، ومنها عنز.

(١) ص ١١٩.

(٢) سيرة الإمام أحمد بن سليمان، سليمان التقي، ص ٩٩.

(٣) غاية الأمان، يحيى بن الحسين، ج ١، ص ٤٠٧.

(٤) السمط الغالي الثمن، بدر الدين محمد بن حاتم اليامي، ص ١٧٩.

(٥) كانت مساكن نهد في جهات تثليث.

(٦) هو موضع في شمال مركز خيبر الجنوب في محافظة خميس مشيط.

(٧) تاريخ حضرموت، شنبيل، ص ٧٤.

(٨) جواهر تاريخ الأحقاف، محمد علي باحنان، ج ١، ص ١٠٤.

ويختفي ذكر مدينة جُرش منذ القرن السابع الهجري من المصادر التاريخية، ولكن المكان يحتفظ بسكانه من قبيلة (رُفَيْدَة) العَنْزِيَّة، وهو ما ذكرته سابقاً تحت عنوان (المسار التاريخي لقبيلة عَنز بن وائل)، وإذا أضفنا ما ذكره ابن المجاور (ق٧هـ / ق١٣م)، والقلقشندي (ق٩هـ / ق١٥م) ^(١) حيث قالاً بأن بلاد السروات ذات سيادة مستقلة تحت حكم مشايخها على مستوى القبيلة، أو القرى، ومنها سراة عَنز؛ فإنَّ هذا يعني استمرار النظام القبلي لبلاد ريفية. ومما يُضَاف إلى الإشارات السابقة انتقال عبد الله المؤيدي، وهو أحد الأئمة الزيدية، من اليمن إلى بلدة (ذهبان) في بلاد شهران ^(٢) لاجئاً في كنف الشيخ مُرَيِّع بن مانع بن ناصر بن الحفارص، وأقام هناك من سنة (٩٩٤هـ حتى سنة ١٠٠٦هـ)، ووصل إليه في مكان إقامته بعض مشايخ (رُفَيْدَة) كما يقول ابنه مدون هذه السيرة ^(٣). وهذا يدل على وجود قبيلة رُفَيْدَة كقبيلة مستقلة، شأنها في ذلك الحين شأن قبيلة شهران، وقبيلة بني مغيد، وقد ورد ذكرهما في سيرة المؤيدي؛ وهذه القبائل تعيش حينذاك في ظل النظام القبلي، ولم يتم ذكر أي ولاية لأي دولة على هذه البلاد. وقد استرسلت في الحديث بما يخرج عن النطاق الزمني للعصر العباسي، لأن هذا الاسترسال يدور تحت العنوان السابق (إدارة القبائل)، ومن هنا أنتقل إلى الدولة العثمانية، ثم الدولة السعودية.

و- العصر العثماني (٦٨٧ - ١٢٤٣هـ / ١٢٨٩-١٩٢٤م) :

ليس لبلاد رُفَيْدَة أي ذكر - حسب علمي - في العصر العثماني ^(٤) حتى سنة (١٢٨٩هـ / ١٨٧٢م)، وهي السنة التي استولى فيها العثمانيون على عسير، وأصبحت تحمل اسم (متصرفية عسير) خلال المدة (١٢٨٩ - ١٣٣٧هـ / ١٨٧٢-١٩١٨م). وعن الحكم العثماني في عسير قال متصرف عسير (سليمان شفيق باشا) : (في الواقع أن الدولة لم تصنع في بلاد عسير شيئاً غير تحصيل الزكاة من الأهالي بين حين وآخر، ولم تفكر قط في إيجاد أسباب العمران لإحياء هذه الجهات، ولم تتذرع بشيء من ورائه نفع للأهالي، وليس لها برنامج يسير عليه رجالها وموظفوها الذين يأتون إلى هذه البلاد وهم لم يستطيعوا فهم الأمور التي يحتاج إليها الشعب، ولم يدرسوا أسباب ثورة الأهالي وتمردهم على الدولة، ولم يستطيعوا أن يقرروا الأمن، بل تركوا الناس وشأنهم يحارب بعضهم بعضاً والحكومة واقفة تتفرج عليهم) ^(٥). وكانت بلاد رُفَيْدَة من

(١) سبق إيراد قولهما آنفاً .

(٢) أحد أحياء مدينة خميس مشيط .

(٣) التحفة العنبرية، ورقة ٢٢٢ .

(٤) لم أذكر الأحداث في سنة ١٢٢٢هـ وما بعدها لأنها لا تقيد شيئاً بسبب عدم توطد الحكم العثماني في عسير .

(٥) مذكرات سليمان شفيق باشا، ص ١١٩ .

ضمن متصرفية عسير، وقد ذكرها سليمان شفيق في مواضع من مذكراته، وزار موقع (جَرْش) ولم يذكرها بهذا الاسم، إلا أنه أثبت اسم جبل (حمومة) ^(١).

وقال أحمد راشد (من قادة العثمانيين الذي وصل إلى عسير سنة ١٢٨٧هـ):
(إن مضافات عسير قائمة - أيضاً - على بعض الجبال المتسلسلة المذكورة، وفي أرض تهامة. فالأماكن القائمة في الجبال هي: السقا، الباحة الخضراء، أبها، قحطان، شهران، رفيدة، وفيها قبائل كثيرة، وقرى عديدة كبيرة، ومعظم هذه الوديان يقال لها: ديار عنز، كما يقال لها أرض طود، أرض جرش) ^(٢).

ويتضح من كلام سليمان شفيق أن بلاد رفيدة وغيرها تعيش في إطار النظام القبلي فعلياً، وفي ظل الدولة العثمانية إسمياً. ويؤكد ذلك الدكتور غيثان بن جريس بقوله: (كانت فلسفة الحكم العثماني تقوم على أساس ترك الأمور في الولايات على ما هي عليه، دون تدخل جوهري من جانب الحكومة في حياة الناس، على أن يكون ذلك في إطار التبعية للسلطان العثماني. وهذا ما نعبر عنه بسطحية الحكم العثماني، فهو لم يتغلغل في الأمور الداخلية، وإنما اكتفى بوضع حاميات للدفاع عن البلاد ونشر الأمن فيها. وربما في بعض الأحيان ترك الأمن للقوى المحلية، أما عدا ذلك فقد ترك الأمر لأهل البلاد ولحكامها من ولاية يعينهم السلطان أو من شيوخ وأعيان أو أمراء يتصدون لعلاج مشكلات بلادهم) ^(٣).

ز. الدولة السعودية (١٢١٣ - ١٤٣٩هـ / ١٧٩٨ - ٢٠١٨م):

تمثل رحلة غَسَّام بن عامر ^(٤) إلى الدرعية سنة (١٢١٣هـ / ١٧٩٨م) تقريباً، أول اتصال لبلاد رُفَيْدَة بالدولة السعودية الأولى، في عهد الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود، وكان ذلك متوافقاً مع رحلة محمد بن عامر أبو نقطه ^(٥)، الذي قام بأمر الدولة السعودية الأولى في منطقة عسير ^(٦). وكان الوضع في بلاد رُفَيْدَة - كحال القبائل الأخرى المجاورة - من حيث الاستقلال القبلي، إذ استمرت إدارة القبائل تحت رعاية مشايخ القبائل، مع الولاء للدولة السعودية. وجرت بعد ذلك الكثير من الأحداث في منطقة عسير، التي أدت إلى اضطراب الأمور في سائر أنحاء المنطقة، ولم تحصل أي ترتيبات إدارية، فبقي الحال كما هو عليه من سيادة النظام القبلي. وبعد ضم منطقة عسير سنة

(١) الصفحات: ٩٢، ٩٧، ١٠١، ١٠٢، ١٠٣ وغيرها.

(٢) الحملة العثمانية على عسير، ص ١٥٧.

(٣) صفحات من تاريخ عسير، ص ٢٢٦.

(٤) شيخ رفيدة، وهو من أسرة آل سالم، من قبيلة ذُعي من رُفَيْدَة.

(٥) وهو من المتاحمة، من قبيلة ربيعة ورُفَيْدَة، من عسير.

(٦) تاريخ عسير، هاشم النعمي، ص ١٢٤. دور آل المتحمي في مد نفوذ الدولة السعودية الأولى في عسير، أحمد

آل فائق، ص ١٢٩. عسير خلال قرنين، عبد المنعم الجميبي، ص ٦.

(١٣٢٨هـ/١٩١٩م) إلى الدولة السعودية الثالثة دخلت المنطقة - ومن ضمنها بلاد رُفَيْدَة - في نظام دولة المؤسسات، وأصبحت أحد رُفَيْدَة أحد المراكز الإدارية للدولة، وسُمِّي المشرف عليها (رئيس دورية) سنة (١٣٦٢هـ/١٩٤٢م)، ثم أصبحت بمسمى (إمارة) سنة (١٣٧٥هـ/١٩٥٥م)، ثم (محافظة أحد رُفَيْدَة) منذ سنة (١٤١٤هـ/١٩٩٤م).

٢- وقفه مع الوجود الحميري في جرش

أ- مصطلح (اليمن) الجغرافي :

لا بُدَّ أن أضع بين يدي ((الوجود الحميري في جرش)) الإمامة تتعلق بمصطلح (اليمن) ومدى التوسع أو الوجود اليمني خارج نطاق اليمن المعاصر. يقول الدكتور يوسف محمد عبد الله: ((الجزيرة العربية في نظر الكثير من الجغرافيين العرب تمتد من نهر الفرات شمالاً حتى البحر العربي جنوباً، وتأييد ذلك أن الصحراء العربية تُضريس طبيعي يمتد من الربع الخالي عبر الدهناء والنفود، ويشمل بادية الشام، بل إن المظاهر الطبيعية من جبال وصحارى وغيرها في شمال الجزيرة هو امتداد طبيعي لجنوبها. وإذا ما أخذ بالقول السابق من أن الجزيرة العربية تمتد من الفرات إلى البحر العربي فإنه من اليسير أن يفهم تصور العرب قديماً لشمال جزيرتهم وجنوبها على وجه الإجمال فينتعنون شمالها بالشام وجنوبها باليمن، ولكنهم يختلفون في تثبيت حدود الشمال والجنوب، وذلك لعدم وجود حاجز طبيعي يفصلها بصورة واضحة ويصلح أن يتخذ حداً، كما أن شقة الخلاف حول هذه الحدود توسعت بسبب الأقوال التي حرصت قديماً وحديثاً على اعتبار سوريا وفلسطين ولبنان وغيرها ليست ضمن الجزيرة العربية بحكم تقردها بخصائص حضارات مستقرة تختلف عن النمط المعيشي البدوي الغالب على الجزيرة العربية. وفاتهم أن اليمن بالنسبة للجزيرة العربية لها أيضاً سماتها الحضارية المستقرة الخاصة ولكن ذلك لا يعني أنها لا تدخل ضمن الجزيرة العربية. ولما كانت لفظتا الشام واليمن بمعنى الشمال والجنوب واسعتي المدلول وهما في الأصل تدلان على الجهة فإن استعمالهما للدلالة على تسمية أرض معينة أو مكان محدد لم يكن شائعاً في التاريخ العربي القديم)) (١).

ويدل كلام الدكتور يوسف محمد عبد الله على استعمال مصطلحي (الشام) و(اليمن) للتعبير عن الجهة، أي جهة الشام، وجهة اليمن، مثلها مثل الشرق والغرب، ولا أدل على ذلك ما يجري تطبيقه على الواقع، فأهل اليمن المعاصر يقولون لجهة الشمال: الشام. وكانت صعدة تسمى الشام عند من يسكن جنوبها، بل أصبحت تسمى ضمن التقسيم الإداري لليمن المعاصر: لواء الشام، ثم ألغيت هذه التسمية. وأهل صعدة ومن حولهم يسمون بلاد عسير: الشام، وهذا ثابت في كتبهم، ومنها: (١) سيرة الإمام

(١) أوراق في تاريخ اليمن وأثاره، ص ١٨٦.

أحمد بن سليمان، لمؤلفه سليمان الثقفي، ص ١٠٠. (٢) غاية الأمان في أخبار القطر اليماني، لمؤلفه يحيى بن القاسم، ج ١، ص ٤٠٧. وأهل رجال ألمع بمنطقة عسير يجعلون بلادهم في قسمين، أحدهما ألمع الشام، والآخر ألمع اليمن. وفي بلاد رجال الحجر بمنطقة عسير أيضاً، يقولون: بنو عمرو الشام، وبنو عمرو اليمن. وفي منطقة مكة (نخلة الشامية) و (نخلة اليمانية) ويسمى أحد أركان الكعبة: الركن اليماني. وكل ما مضى من المواضع التي يقال فيها (الشام) أو (اليمن) لا يعني إلا مصطلح الجهة (الشمال والجنوب)، ولا يقصد به أي سيادة لهذا أو ذاك. ومما يتعلق بذلك في تحديد مصطلح (القبلة) فهو عند أهل البلاد الواقعة إلى الجنوب من مكة حتى عدن بمعنى الشمال، وأهل الشام يقولون (القبلة) وهو بمعنى (الجنوب).

ونخلص من ذلك إلى أن الدول اليمنية التي تكونت في محيط اليمن المعاصر، لم تبسط سيادتها على كامل التراب اليمني المعاصر منفردة، (وفي القرنين الثاني والأول قبل الميلاد أصبح في اليمن خمس دول في آن واحد، وهي: سبأ، وقتبان، ومعين، وحضرموت، وحمير)^(١). فهل تمكنت إحدى هذه الدول - ولا سيما حمير - من بسط سيادتها على جبال السروات في صعدة وشمالها حتى قرب الطائف؟ وقد ذهب بعض المؤرخين إلى أن ملوك حمير والتبابعة لم يكونوا يتجاوزون اليمن إلا أن يغيروا على البلاد ثم يرجعون إلى دار ملكهم^(٢).

ومما يؤكد عدم السيادة الكاملة حتى في نطاق اليمن المعاصر ما ذكرته - آنفاً - من تعاصر خمس دول يمنية في آن واحد، وأضيف إلى ذلك مواقع سيادة هذه الدول، فدولة معين في منطقة جوف اليمن إلى الشمال الغربي من مأرب، وامتدت دولة قتيبان إلى سواحل المحيط الهندي واتخذت من مدينة تمنع على وادي بيحان حاضرة لها، وإلى الشرق من دولة قتيبان ظهرت دولة حضرموت بعاصمتها شبوة، ولعل دولة سبأ (٨٥٠ ق.م - ١١٥ ق.م) ودولة حمير (١١٥ ق.م - ٥٢٥ م) من الدول التي حكمت أجزاء كبيرة من اليمن المعاصر^(٣). أما التوسع خارج حدود اليمن المعاصر فقد ارتبط بتاريخ بعض ملوك حمير، سواء من خلال حروبهم مع بعض قبائل وسط الجزيرة العربية، أم حملاتهم في الحجاز، إلا أن الملاحظ على ذلك هو عودتهم إلى بلادهم دون أن يتركوا أي أثر من حضارتهم في البلاد التي غزوها، إضافة إلى امتزاج تاريخ هذه الأحداث بالأساطير التي أساءت إلى التاريخ الحقيقي.

(١) أوراق في تاريخ اليمن، د. يوسف محمد عبد الله، ص ٢٢١.

(٢) جمهرة أنساب العرب، ابن حزم، ص ٤٨٧. تاريخ اليعقوبي، ج ١، ص ٢٤٥. تاريخ الطبري، ج ٢، ص ٩٦.

(٣) اليمن عبر التاريخ، أحمد حسين شرف الدين، ص ٥٨. التشريعات في جنوب غرب الجزيرة العربية، نورة النعيم، ص ٦٥.

ولعل أهم ما يشير إلى عدم سيادة هذه الدول ولا سيما بعد سنة (٥٢٥م) خروج أبرهة إلى الحجاز لهدم الكعبة، فقد حاربت القبائل العربية في جميع المناطق التي مرّ بها، وقد حاربت بكونها وحدات سياسية قبلية مستقلة ثم جاء الإسلام فتوافد زعماء القبائل العربية، حتى من داخل اليمن المعاصر، بصفتهم السياسية القبلية على قبائلهم وبلادهم، فلم نجد أي ذكر لدولة أو ملك في المناطق الواقعة ما بين مكة وبين حدود اليمن المعاصر. واستمر وضع السيادة القبلية في السروات من الطائف حتى حدود اليمن المعاصر، عدا بعض الحواضر ومُدن القوافل على طرق الحج والتجارة، التي تتبع ولاية مكة والطائف، ثم استقر الوضع الإداري السعودي في ثلاث مناطق إدارية هي (الباحة، عسير، نجران) مع احتفاظ القبائل - في الغالب - بزعامتها القبلية وبلادها.

ب - الوجود الحميري في جُرش :

يرتبط الوجود الحميري في جُرش بحدّثين، هما: (١) مرور أسعد بن كليكرب على جُرش، حيث ترك بها جمعا ممن كان صحبه^(١)، وكان ذلك في القرن الخامس الميلادي^(٢). (٢) في سنة (١٣٤هـ/٧٥١م) رحل بعض العواسج من (حيدان) في غربي صعدة إلى جُرش، وكان زعيمهم أحمد بن يزيد بن عمرو بن نابت بن الريان القشيب العوسجي، ونزل بهم في تدحّة، وكانت من أحواز جُرش التي تسيطر عليها قبيلة عنز بن وائل، فوقعت الحرب بينه وبين عنز، واستعان بأحلافه من نهد وزبيد وغيرهم، فانتصر على عنز وسكن جُرش^(٣).

(*) **الحدث الأول:** تحدثت بعض المصادر عن الوجود الحميري الأول في جُرش، ومن ذلك ما ذكره البكري - نقلا عن الهمداني^(٤)، - حيث قال: "قال الهمداني: مرّ تبع أسعد أبو كرب في غزوتيه الأولى بجُرش، من أرض طود، فرأى موضعا كثير الخير، قليل الأهل، فخلف فيه نفرا من قومه، فقالوا: بم نعيش؟ فقال: اجترشوا من هذه الأرض، وأثيروها واعمروها، فسميت جُرش"^(٥). وقال ياقوت الحموي: (بأن تبع أسعد بن كليكرب خرج من اليمن غازيا حتى إذا كان بجُرش، وهي إذ ذاك خربة، ومعدّ حالة حواليتها، فخلف بها جمعا ممن كان صحبه رأى فيهم ضعفا، وقال: اجرشوا وهنا أي البثوا، فسميت جُرش بذلك)^(٦).

(١) معجم البلدان (جُرش). معجم ما استعجم، البكري، ج٢، ص ٢٧٦.

(٢) قصة البحث عن جُرش، محمد بن أحمد معبر، ص ٦٢.

(٣) الإكليل، الهمداني، ج٢، ص ١٢٩. قصة البحث عن جُرش، ص ٤٢.

(٤) لم أجد هذا القول في كتب الهمداني المطبوعة، ولعل البكري اطلع على نسخة تختلف عن المطبوع.

(٥) معجم ما استعجم، ج٢، ص ٢٧٦.

(٦) معجم البلدان (جُرش).

واسم هذا الملك الحميري: أبو كرب - أب كرب - أسعد ويسمى (تبع أسعد) و (تبع الأوسط) و (أبو كرب تبان أسعد)، واختلفوا في مدة حكمه فقبل (٣٧٨ - ٤١٥ م) و (٤٠٠ - ٤١٥ م) و (٤٠٠ - ٤٢٠ م) و (٤٠٠ - ٤٣٠ م) و (٤١٠ - ٤٣٥ م)^(١). وقد حمل أطول لقب ملكي، وهو (أكبرب أسعد ملك سبأ وذوريدان وحضرموت ويمنات وأعرابها في طودم وتهامة)^(٢) وهو قد أضاف إلى لقبه جملة (وأعرابها في الجبال والتهائم)^(٣). ومن الملاحظ في نص البكري، وفي لقب أبي كرب وجود كلمة (طود) و (طودم)، وهو في اللغة: (الطود: الجبل العظيم، وفي حديث عائشة تصف أباهما، رضي الله عنهما: ذاك طود منيف، أي جبل عال)^(٤). ونحن - في منطقة عسير - نقول لسلسلة الجبال الشاهقة في عسير، التي تتجه منحدراتها إلى الغرب: (الطود). وهي التي عنأها الهمداني بقوله: (الدارة، وأبها، والحللة، والفتيحا، فحمرة، وطب، فاتانه، والمغوث، فجرشة، فالأيداع، وأوطان عسير من عنز، وتسمى هذه أرض طود)^(٥).

وقال الشاعر:

وأصبحت من طود بروض تنادح نصابول عن أحوازها من تنزرا
نساقى بها عنزا سموما وربما شربنا بأيديهم سماما ممقرا

وقال أبو علي الهجري: (الطود: وهو البلاد التي يقال لها السراة، وهي فيما بين الطائف وجرش)^(٦). فهل المراد بالطود أو (طودم) سلسلة الجبال الممتدة من شمال عدن إلى الطائف، وهو الصحيح في الواقع الجغرافي، ولا أرى أنه يمثل السيادة للدولة الحميرية؛ فطودم الواردة في لقب أبي كرب أسعد تعني جزءا من جبال السروات الواقعة جنوب صنعاء، إذ نجد بعض المواضع المذكورة في لقبه، وهي (سبأ، ذوريدان، حضرموت) في أماكن متقاربة. وإذا عدنا إلى نصي البكري وياقوت، فإننا لا نجد فيهما ما يدل على السيادة، بل فيهما الدلالة على بقاء بعض من معه في جرش، بل نجد ياقوت يقول: (ومعد حالة حواليتها) وقال (معد) لأنه يرى - حسب ما نقل إليه - أن قبيلة (عنز بن وائل معدية، بل قال في موضع من معجم البلدان: شعاف عنز. وعلى ذلك فإن من تخلفوا من جيش أبي كرب أسعد، قد أقاموا في جرش بصفتهم الشخصية،

- (١) المفصل، جواد علي، ج٢، ص ٥٧١. دراسات في تاريخ العرب القديم، مهران، ص ٣٦١. أوراق في تاريخ اليمن القديم، يوسف عبد الله، ص ٢٥٢. التشريعات في جنوب غرب الجزيرة العربية، نورة النعيم، ص ٧٤.
- (٢) التشريعات، النعيم، ص ٧٧٥. أوراق في تاريخ اليمن، ص ٢٥٢.
- (٣) دراسات في تاريخ العرب القديم، مهران، ص ٢٦٢.
- (٤) اللسان (طود).
- (٥) صفة جزيرة العرب، ص ٢٥٦.
- (٦) التعليقات والنوادر، ج٤، ص ١٦٧٥، ص ١٨٤٨.

لا يكونهم حامية أو مؤسسة حكومية تابعة للدولة الحميرية، وقد تناسلوا هناك، وهم الذين جاء الإسلام في السنة العاشرة للهجرة، وهم من أهلها، ولذلك قال شاعر من الأزد ممن حضر مع صرد بن عبد الله الأزدي فتح جرش :

يا غزوة ما غزونا غير خائبة فيها البغال وفيها الخيل والحمر
حتى أتينا حميراً في مصانعها وجمع خثعم قد شاعت له النذر^(١)

(* الحدث الثاني :

وهو يمثل الوجود الحميري الثاني في جرش، ففي سنة (١٣٤هـ/٧٥١م) رحل أحمد بن يزيد بن عمرو بن نابت بن الريان القشبي العوسجي^(٢)، من بلد (حيدان) بالقرب من صعدة، ونزل في تدحة، وكانت من أحواز جرش، فوقع الحرب بينه وبين قبيلة عنز بن وائل، واستجد بنهد وزبيد وغيرهم، وتغلب على عنز، وسكن في جرش، هو وأهل بيته، وبعض أفراد قبيلته عوسجة الصغرى^(٣). ولا يمثل هذا الوجود أي سيادة سياسية حميرية، فالدولة الحميرية قد انتهت منذ القرن السادس الميلادي سنة (٥٢٥م)، وقد استمر النزاع بين قبيلة عنز وبين العواسج طوال أربعة قرون. ويؤكد الهمداني عنزية جرش بقوله: (جرش، هي كورة نجد العليا، وهي من ديار عنز، ويسكنها العواسج من أشرف حمير)^(٤). وقال بأن القرية - جرش - بينهم مناصفة، أي بين العواسج وعنز^(٥). ومما يدل على وجود النزاع قول الشاعر محمد بن إبراهيم العوسجي - وكان معاصراً للهمداني - :

وكيف ترى عنز خضوعي وذلتني ونهد وجنّب جيرتي وأقاربي

وانتهى النزاع بخروج العواسج من جرش في نهاية القرن الخامس الهجري^(٦). ولا يعني هذا خروج العواسج كافة، إذ لا بد أن لهم بقية، كما أن للحميريين من الوجود الأول بقية أيضاً. ونخرج من الحديث عن الوجود الحميري الطارئ - الأول والثاني - في جرش إلى أصالة الوجود العنزي ممثلاً في قبيلة ربيعة، فقد تحدثت في المسار التاريخي لقبيلة عنز عن وجودها في سراتها منذ العصر الجاهلي حتى اليوم، وتؤكد

(١) السيرة النبوية، ابن هشام، ج٤، ص ١٧٢.

(٢) العواسج من نسل ذي مقار بن مالك بن زيد بن سدد، وينتهي إلى حمير بن سبأ ابن يشجب. (دراسات في أنساب قبائل اليمن، أحمد حسين شرف الدين، ص ٨٩). السيرة النبوية.

(٣) الإكليل، ج٢، ص ١٣٩. قصة البحث عن جرش، ص ٥٢.

(٤) صفة جزيرة العرب، ص ٢٥٥.

(٥) الإكليل، ج٢، ص ١٣٩.

(٦) في سرة غامد وزهران، حمد الجاسر، ص ٤٩.

ذلك بنتائج التحليل الجيني لقبائل رُفيدة المعاصرة، الذي يعود إلى تحوُّر عَنز بن وائل (FGC 14297). ويبقى السؤال عن الحميريين في الوجودين الأول والثاني، ولا سيما من بقي منهم في جُرش ومحيطها ؟؟ فكما نعلم أنهم كانوا في جُرش حين تم فتحها في السنة العاشرة للهجرة، وكذلك وجودهم في جُرش منذ القرن الثاني الهجري حتى نهاية القرن الخامس. ولأبداً أنه حصلت بعض المصاهرات بينهم وبين أهل جُرش سكان البلاد أصلاً. ولا نفضل مشاركة بعضهم في الفتوحات الإسلامية في عهد الخلافة الراشدة. فأين من بقي من الحميريين في هذه الأنحاء ؟ ولا سيما أن وجودهم الأول كان بين عامي (٤١٥ - ٤٣٥م) وهي المدة التقريبية لحكم الملك الحميري أبي كرب أسعد، وفتحت جُرش في السنة العاشرة للهجرة (٦٣١م) وكانت حمير من سكانها، ثم حصل الوجود الثاني في القرن الثاني للهجرة حتى نهاية القرن الخامس، بما يعني أنهم تكاثروا خلال إقامتهم بجُرش في الوجود الأول لما يقرب من قرنين، وفي الوجود الثاني الذي استمر لما يقرب من أربعة قرون، وليس من المعقول انقراضهم جميعاً. وهذا يحتاج إلى دراسة جادة ودقيقة، حتى يزول هذا الغموض.

سادساً: خاتمة القول:

نشكر الأستاذ محمد بن معبر على هذا السرد والتفصيلات التاريخية والحضارية عن الأصول التاريخية لبلاد رُفيدة وسكانها. وأقول إن هذه البلاد وما جاورها من سروات قحطان وعسير مازالت تحتاج إلى دراسات أعمق وأطول، ونأمل من أساتذة التاريخ في جامعاتنا السعودية وكذلك الأثريين أن يبذلوا بعض الجهود الجادة في دراسة هذه البلاد السروية العربية الماجدة.